



دراسة من زمن التوهج بيوت



رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (1513) السنة السادسة
الخميس (21) أيار 2009

طه باقر بين
ابحائه ومؤلفاته

4



طه باقر .. المعلم

6



طه باقر والريادة
في عالم مجهول

10



طه باقر

قارئ الطين





قارئء الوطن

<div> </div>	<div> </div>
المررر	

المتحدفة فنال شهادة البكلوريوس والمجاستير عام ١٩٢٨م من جامعة شيكاغو.

عرف عنه حبه الجارف للكشف عن الآثار و الرقم وبقايا الحضارات القديمة و امتاز بعقم دراسته و براعته في قراة اللغات القديمة وفك رموزها واعظم انجازاته هي ترجمته لـ «ملحمة كلكامش» التي صدرت باربع طبعات بالعربية، ويعد منجزه الفكري (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة) وكتاب (مقدمة في ادب العراق القديم) عملاً أكاديميا متكاملًا، إضافة إلى مؤلفه (موجز في تاريخ العلوم والمعارف القديمة والحضارة العربية الإسلامية) و (المرشد إلى مواطن الآثار) إضافة لأمعة في علم الآثار.

تناول العلامة طه باقر مختلف المواقع الأثرية بالدراسة والتحليل والكشف مثل مناطق (عقرقوف) و(تل حرمل) وعصور ما قبل التاريخ في وادي الرافدين إضافة إلى مساهمته الواسعة في مجلة (سومر) ونشاطه في المجمع العلمي العراقي وشغل إضافة إلى أعماله الفكرية مناصب ادارية متنوعة فعُمل مديراً عاماً للآثار و نائباً لرئيس جامعة بغداد مع الدكتور عبد الجبار عبد الله رئيس الجامعة بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م. وساهم في تأسيس متاحف لبعض البلدان العربية كالمتحف الليبي أثناء فترة عمله هناك أعوام ١٩٦٥ – ١٩٧٠.

ثم عمل في ميدان التدريس في جامعة بغداد/ كلية الآداب/ قسم الآثار عام ١٩٧١. كان موسوعياً في ثقافته التي توزعت بين التاريخ واللغة والفن وتاريخ الإنسان والفلك. امتلك معرفة قديرة في اتقان اللغات ومقارنتها فاتقن العربية والإنكليزية والفرنسية والألمانية إضافة إلى لغات العراق القديم وعرف عنه الانفتاح الذهني وابتعاده عن التعصب واحترام الرأي الآخر. كان شغوفاً باللغة العربية الأمر الذي دفعه إلى تأليف مؤلفه (من تراثنا اللغوي القديم) عام ١٩٨٠.

عرفت عنه علاقته النوعية مع ملحمة كلكامش وتأمل حيرته في موضوع الخلود والأزل والأبد وانهك في دراسة السبب والعلة، وطلع علينا بازوداجية اللغة في العراق القديم وقال في مقدمة ملحمة كلكامش (من الحقائق التاريخية المعروفة في تاريخ حضارة وادي الرافدين بجميع أدوارها إنها كانت من الناحية اللغوية «مزبوجة اللغة، أو ثنائية اللغة هما السومرية والآكدية. البابلية والأشورية). وأشار إلى أنه لا يمكن فهم النصوص الأدبية في دونات وادي الرافدين بوجه عام إذا لم يحسب لهذا الأزدواج اللغوي حسابه سواء أكان من ناحية ترجمة هذه النصوص الأدبية من السومرية إلى اللغة البابلية والأشورية أم من ناحية تأثر النتاج البابلي بأصول سومرية. وقال طه باقر أن الأكديين كتبوا لغتهم بالخط المسماري الذي اخترعه السومريون، مما تطلب الإلمام بالكلمات السومرية، لتقييم العلامات المسمارية. الأمر الذي استتبع عنه ظهور أقدم المعاجم اللغوية في تاريخ الحضارات لشرح المفردة السومرية والعلامات المدونة بها في مفردات آكدية.

العلامة طه باقر رائد من رواد علم الآثار في العالم ومؤلفاته تعني مصدرأ مهماً من مصادر علم الآثار والحضارات والتاريخ القديم. ورغم كونه أستاذًا في كلية الآداب ودار المعلمين العالية لكنه ظل متعلقا بالعمل الميداني، في مجال التحري والتقيب فترأس بعثة للتقيب في موقع (تل الدير) وعقرقوف أعوام ١٩٤١ – ١٩٤٧. وأشرف على التقيب في (تل حرمل) و(تل الصباغ) في بغداد ١٩٤٥ – ١٩٦١ وأشرف على التقببات في حوض سد دوكان وسد دربندخان أعوام ١٩٥٦ – ١٩٦١. إضافة إلى أعمال الصيانة الأثرية في مدينة بابل سنة ١٩٥٨ – ١٩٦٣. قدم طه باقر مئات البحوث المنشورة وعمل رئيساً لتحرير مجلة سومر.

لهطه باقر جهد مميز في النظرة إلى الشخصية الوطنية من خلال سعيه الدائب إلى كشف عظمة ما قدمه العراقي القديم للبشرية عبر عصوره الحضارية المتعددة، وتجل ذلك في ترجمته كتاب (من الواح سومر). الذي الفه الاختصاصي في المباحث السومرية الروسي الأصل الأمريكي الجنسية (صموئيل كيريم) وكلف طه باقر بترجمة هذا المؤلف وتناول المؤلف في كل فصوله منجز الحضارة الإنسانية مما قدمه العراقيون من اول مدرسة، اول برلمان، اول مؤرخ ومشروع دستور، واول التقاويم الزراعية، اول آراء في اصل الكون، أول في التوراة، الحب، فهارس الكتب...، ومن العروف علمياً ان النمو السليم للشخصية الوطنية يتطلب معرفة ابعادها الزمنية في الماضي والحاضر والمستقبل بوجه الانكسارات المختلفة.

قال طه باقر في ملحمة كلكامش:

(لعلني لا ابالغ إذا قلت انه لو لم يأتنا من حضارة وادي الرافدين من منجزاتها وعلومها ومتونها شيء سوى هذه الملحمة لكانت جديرة ان تتبوأ تلك الحضارة مكانة سامية بين الحضارات العالمية القديمة).

ان الملحمة تعطي مفاتيح مهمة لفهم شخصية الفرد العراقي، وحركة المجتمع الرافديني. لقد قدم وكشف جوانب مهمة في البناء السايكولوجي للمواطن العراقي القديم.

توقيعام ١٩٨٤ بعد مرض عصال

لقد ترك لنا (طه باقر) عشرين مطبوعاً بلغات متعددة وتمتاز كلها بالبراء العلمي وبلاغة الأسلوب وجماله، لقد أثرت المكتبة العربية والعالمية بمؤلفات لها قيمة كبيرة. وكان منجماً عراقياً في معارفه وتنشوفاته ومن درر الإبداع الحريصه على حضارة وادي الرافدين. عراقيون يحفتي بقارئء الوطن العراقي العلامة طه باقر رمزاً من رموز ثقافتنا الوطنية واحد عشاق العراق من الذين أفنوا حياتهم في البحث عن تراث هذا البلد وتقديمه للعالم .. ٢٥عاما هي السنوات التي غاب فيها طه باقر.. غاب جسدا لكن أفكاره ورؤاة ومنجزاته لاتزال شامخة تشير الى عظمة الإنجاز العراقي

العدد (1513) السنة السادسة الخميس (21) ايار 2009

عراقيون

من زمن التوهج

شذرات في حياة البابلي.. طه باقر



<div> </div>	<div> </div>
مجيد ناشئ	
متفخر الامم والشعوب بمبديعيها وعلماؤها ومفكرها وتعمل من اجل ان يبقوا في الذاكرة ، ولكي يكونوا منارة	
تسترشد بها الاجيال ،ويكونوا معينًا لهم في دروب المعرفة من اجل اضافته ابداع جديد لان مسيرة الحضارة والتقدم يصنعها	
الانسان المبدع . وهاهو الفيلسوف الروماني الشهير سيبسرو يؤكّد ويقول : (إذا كنت لاتعرف شيئًا مما حدث قبل ولادتك ،فلن تكبر ابدا) لذا فأن الحديث عن العظمة من مبدعي وادي الرافدين ما هو الا تذكير للا جيال لكي تتواصل مع هذا الابداع ، ولكي تسهم في العطاء في شتى المجالات ، هذا ما حفرتنا لكتابه هذا الموضوع عن العال لم الجليل المرحوم الاستاذ طه باقر .	
طوبى للمبدعين الذين تركوا بصماتهم واصله على مسيرة الفكر والابداع في وادي الرافدين في مختلف المجالات. طوبى لكل	
عمل خير ينفع الانسان في مختلف العصور والازمان	
البدديات	
ولد الاستاذ طه باقر عام١٩١٢في مدينه الحلة ، اكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة في نفس المدينة وكان	

عراقيون

من زمن التوهج

المناصب الادارية التي تقلدها

بعد ان عاد المرحوم الاستاذ طه باقر الى ارض الرافدين تم تعيينه بدرجة خبير فني في مديرية الآثار

القديمة العامة ، واستمر في هذا الموقع الى ان تم تعيينه عام ١٩٤١في منصب امين المتحف العراقي

١٩٥٨ وفي عام١٩٥١تم تعيينه معاون مدير الآثار واستمر بهذا المنصب لغاية عام .

١٩٦٣ وبعد ثورة ١٤ تموز المجيدة تم تعيينه مدير الآثار العام واستمر بهذا المنصب لغاية ٨شباط

وبعد انقلاب شباط الاسود تم فصله ومحاربهته من قبل قطعان البعث والرجعيين ،ثم احيل الى التقاعد

الاجباري وهو لم يكمل ٢٥سنة خدمة فعليه هذا هو تكريم قطعان الحرس الاقومي للمبدعين ؟؟؟

المناصب الاكاديمية التي تقلدها

اضافة الى المهام الادارية التي كان يضطلع بها الا انه اسهم مساهمة فاعلة وحيوية في العديد من المهام الاكاديمية التي كان لها الأثر الفعال في التطور الفكري والثقافي في العراق والوطن العربي

ومن تلك المناصب : في عام١٩٤١قام بتدريس مادة التاريخ القديم والحضارة في كلية المعلمين ١٩٦٠واستمر فيها لغاية عام .

ومنذ عام١٩٥١ ولغاية عام ١٩٦٣قام بتدريس مادة التاريخ القديم واللغات القديمة في قسم الآثار

كلية الاداب جامعة بغداد. وحصل عام١٩٥١على درجة استاذ في كلية الآداب .

١٩٥٨-١٩٥٧كان عضوا في المجلس التاسيسي لجامعة بغداد للفترة

وبعد ثورة ١٤ تموز تم تعيينه نائب رئيس جامعة بغداد التي كان يرئسها المرحوم العالم العراقي الشهير الدكتور عبد الجبار عبد الله .

لقد كان المرحوم الاستاذ طه باقر استاذًا في كلية الآداب ، ومديرا عاما للآثار ، ونائباً لرئيس الجامعة

وقد ادى أعماله المختلفه بشكل رائع وبتفاني واخلاص العباقرة وهذا ما يؤكد تاريخه المشرف .

طه باقر وانقلاب/شباط الاسود

عندما حلت مؤامرة شباط١٩٦٣تم فصله من الخدمة كما اشترنا سابقا. ليس هو وحده وانما مجاميع

من علماء ومفكري واساتذة العراق المخلصين وعلى نفقة وزارة المعارف في الفرع العلمي في الثانوية المركزية عام١٩٣١-١٩٣٢بتفوق متميز وكان واحدا من بين الاربعة الاوائل في ثانويات العراق

اختير كأحد طلاب البعثة التي كانت ترسلها وزارة المعارف لاكمال الدراسة خارج العراق .وكانت بعثته في راسته علم الآثار في المعهد الشرقي في جامعه شيكاغو في الولايات المتحدة .وقبل سفره الى الولايات المتحدة

رشح ضمن طلاب بعثة الخرين لنيل شهادة ما يسمى (matriculation) الانكليزية في مدينة صغد بفلسطين

وبعد ذلك نقل ومن معه من طلاب الى الجامعة الامريكية في بيروت لاجتياز مرحلة (sophomore) وهي عبارة عن فترة

دراسية تحضيرية . سافر بعدها الى الولايات المتحدة مع زميله المرحوم الاتاري العراقي

المشهور الاستاذ فؤاد سفر لدراسة مادة الآثار واللغات القديمة في المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو .

١٩٢٨وبعد دراسة استمرت اربعة سنوات حصل على شهادتي البكلوريوس والمجاستير عام .

لقد كان الاستاذ طه باقر متسلحا بأ دوات المعرفة المختلفة ومنها اللغات الحديثة والقديمة ومنها :

اللغة السومرية ، اللغة الاكدية وفروعها البابلية والاشورية

العربية، الانكليزية،الالمانية،الفرنسيه ، والعبريه



وقد قام اضافة الى عمله هذا بمهام تدريب الكوادر الليبية على مختلف اعمال التقيب والصيانة الأثرية

واعمال المسح الأثاري وقام باصدار عدة نشرات اثارية عن المواقع الأثرية في ليبيا و الف كتابا عن تاريخ ليبيا وترأس هيئة

تحرير المجلة الأثرية الموسومة :ليبيا القديمة: للسنوات١٩٦٥-١٩٧٠ونشر العديد من البحوث في تلك الفترة ؟؟؟ ولكنه حمل العراق معه .. اليس هو البابلي الاصيل ؟؟؟

العودة الى الوطن

.عادالعالم الجليل المرحوم طه باقر الى الوطن عام١٩٧٠وعين أستاذًا في قسم الآثار – كلية الآداب – جامعة بغداد . وفي عام١٩٧١عين عضوا عاملاً في المجمع العلمي العراقي . وفي عام١٩٧٢عين عضوا في ادارة مركز احياء التراث العلمي العربي العائد الى جامعة بغداد ١٩٨٠ –١٩٧٩واستمر عمله المعطاء الى ان تدهورت حالته الصحية عام

لقد انجز العديد من البحوث والدراسات خلال هذه الفترة والتي سنشير لها بالتفصيل . وقد حاولت سلطة البعث التقرب منه كثيرا والتودد اليه والقيام ببعض الفعاليات الدعائية من اجل اظهار سلطة البعث بمظهر الراعي للعلماء والمفكرين من خلال تحمل نفقات علاجه خارج الوطن والتي طبل لها النظام المقبور كثيرا .

الاعمال والتنقيبات اثارية

قام المرحوم الاستاذ طه باقر اضافة الى أعماله الادارية والاكاديمية التي اوجزنا بعضها في الفقرات السابقة بأعمال التقيب والمسح الموقعي للا ثار وذلك من خلال هذه الاعمال :

١- في عام١٩٤١اعاد ترتيب وعرض المتحف العراقي وفق اسلوب علمي اكاديمي وقد استخدم في ذلك العرض ولاول مرة في تاريخ المتحف العراقي مبدأ التسلسل التاريخي في عرض المواد الأثرية .

٢-ترأس الهيئات الأثرية التي تقبت في المواقع التالية : -

١١٩٤١ –في مدينه واسط

١٩٤١ –تل الدير قرب البوسفية

١٩٤٧-١٩٤١ج-موقع عركوف

١٩٦١ –١٩٤٥ج-موقع تل حرمل

١٩٦٠ –موقع تل الصباغي

١٩٦١و- ترأس وفد سفر زميل ورفيق العمر منذ ايام

الدراسة في الولايات المتحدة مع الاستاذ طه باقر



في اصد ار هذه الاجزاء الهامة من هذا الكتاب القيم .

٥ – مقدمة في ادب العراق القديم : صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٦وهو كتاب يضم معظم الملاحم والاساطير والقصص التي

انتجها وابدعها سكان وادي الرافدين من العصر السومري والاكدي والبابلي والاشوري .

٦ –موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة الإسلامية : صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٠وهو يتناول معلومات هامة عن الرياضيات والطب والفلك

في الحضارات القديمة والحضارة العربية الإسلامية .

٧ – من تراثنا اللغوي القديم وما يسمى في العربية بالدخيل :

هذا الكتاب كان صرخة في وجه مؤلفي المعاجم

العربية الذين اذا حيرتهم كلمة او مصطلح سرعان ما يردوه في سلة الدخيل أو الاعجمي .

لقد فند تلك الادعاءات واثبت ان اصل وجذر العديد من الكلمات والمصطلحات التي كان يقال عنها دخيلة او اعجمية ان اصلها اما سومري او اكدي وهي كلمات رافدينية ولكن عدم دقة اصحاب المعاجم والفهارس اللغوية ادى الى وقوعهم بهذا الخطأ .

٨ –التاريخ القديم : كتاب مدرسي كان يدرس في المدارس العراقية منذ اوائل الخمسينات حتى او اسط الستينات ولقد ساهم في نشر الوعي الحقيقي في انهان مئات الالاف من الطلبة وعرفهم بتاريخهم الحقيقي .

٩ – طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار : صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٠بالاشتراك

مع الدكتور عزيز حميد وقد كان مرجعا مهما لطلبة الدراسات العليا وللبحث العلمي .

الكتب التي ساهم في ترجمتها

١ –بحث في التاريخ : تأليف العالم البريطاني

المعروف ارنولد ج. توينيني

٢ –الواح سومر : تأليف البروفسور صموئيل

نوح كيريم

٣ –الرافدان : تأليف ستين لويد

٤ –الانسان في فجر حياته : تأليف دورثي

فيدس : با الاشتراك مع الاستاذ فؤاد سفر

٥ – تاريخ العلم : تأليف جورج سارتون. ترجمه

مع مجموعة من الاساتذة العرب

طه با قر ومجلة سومر

منذ ظهور هذه المجلة التي تعني بالآثار ومنذ العدد الاول كانت اسهامات المرحوم طه باقر في هذه المجلة العريقة التي اسهم بها العديد من الاساتذة والباحثين المرموقين في العراق والوطن العربي ومن مختلف دول العالم . ان الابحاث والمقالات التي نشرها الاستاذ طه باقر في هذه المجلة عديدة جدا بحيث هي بحاجة الى بحث خاص لأهميتها . لقد نشر من المجلة الاول لهذه المجلة الى ان توفاه الأجل ابحاث مهمة جدا وأثرت تأثيرا مباشرا في تغيير العديد من المفاهيم الخاطئة واكتشاف حقائق جديدة مستندة الى نتائج فحريات مختلفة .

متفرقات

ساهم المرحوم الاستاذ طه باقر في اغلب الصحف والمجلات العراقية والعربية والعالمية وكذلك في مجلة المجمع العلمي العراقي والمجمع العلمي الكردي . ان تلك الاسهامات عديدة جدا ويصعب احصائها لغزارة النتاج الفكري الذي كان يساهم به المرحوم الاستاذ طه باقر . وكانت كل مقالة عبارة عن بحث علمي متكامل واساهمة حقيقية في في مجال التاريخ والتراث والآثار .



طه باقر بين ابهائه ومؤلفاته

د . فوزي رشيد



بالحياة، ولذلك فإن كتابات الأستاذ طه باقر جميعاً وبدون استثناء تنبض بالحياة لأنها ناتجة عن عالم موهوب، وما يؤكد ذلك هو أن جميع ما كتبه كان وما يزال يمثل المعين الذي ينهل منه دارسو الآثار والتاريخ القديم.

هذا وان كثرة انتاجات الأستاذ طه باقر قد أكدت صحة ما قاله زميله الأستاذ محمد علي مصطفى بان الخطأ الكبير الذي ارتكبه في حياته هو قبوله للمناصب الإدارية، حيث أن كثرة الوظائف وتمشية مهام المناصب التي شغلها قد أخذت من وقته الشيء الكثير وشغلت باله باستمرار، غير أن واقع الحال عكس ذلك فبالرغم من ضيق وقت الأستاذ طه باقر، إلا أن إنتاجاته كانت كثيرة بحيث لم يوازعه في حياته لا من الأثاريين ولا المؤرخين أحد، وان دلت هذه الحقيقة على شيء فأنها تدل على أن إمكانية البحث والتحليل لم تستطع صفة مكتسبة من خلال دراسته، بل إنها إمكانية تسري في عروقه وتبرز كلما قال قولاً أو كتب بحثاً أو كتاباً، وهذا يؤكد على ان هذه الإمكانية متوارثة فعلا عن عائلته ذات العلم الواسع وعن منطقته بابل التي سادت فيها علوم الحضارة البابلية العظيمة.

ولتوضيح هذا الموضوع نقول ان

الشخص غير الموهوب إمكانية فن الرسم على سبيل المثال، قد يستطع ان يتعلم القواعد الأساسية لفن الرسم

ويمكن من ان يرسم عددا من اللوحات، ولكنه مهما كان مثابراً فإن إنتاجه يكون محدوداً، بينما الشخص الموهوب إمكانية فن الرسم، يستطيع ان يرسم بجودة ويغزاة أيضاً حتى لو كان مشغولاً بعضاً من وقته بأمور أخرى، وكذلك الصال مع الشاعر الحقيقي ومع من يتعلم نظم الشعر، فالشاعر قد ينظم قصيدة في أي جو يأتيه فيه وحى الشعر، أما المتعلم لنظم الشعر فلا يستطيع نظم قصيدته الا بعد ان يجلس ساعات ويغير ويبدل في الأبيات التي ينظمها حتى تخرج لديه قصيدة مثلها بالنسبة للقصيدة الشاعر الموهوب مثل الوردة اللصاعية بالنسبة للوردة الطبيعية، وسبب ذلك يعود على ما نتعتقد إلى ما أسه به العالم لويد موركن صاحب نظرية التطور المبتدع الذي أشار الى الحياة، كما نكرنا فيما تقدم نشاط منفصل عن المادة وإذا حل هذا النشاط في المادة تتكون الحياة، فقيده الشاعر الموهوب والفنان الحقيقي وكتابة العلم القدير، وإن كانت في حقيقتها أشياء مادية أيضاً، الا ان وحى الموهبة أي تيار الحياة قد حل في هذه الأشياء الحجرية ولذلك تبدو هذه الأشياء وكأنها تنبض



البابلية الحديثة) عام ٥٣٩ ق.م، اما الجزء الثاني فخاص بتاريخ وحضارة بلاد وادي النيل وبلاد الشام وجزيرة العرب وغيرها من البلدان الأخرى، وهذا الكتاب عندما نزل بجزئيه إلى الأسواق في حينه كان الكتاب الوحيد والفريد في نوعه وفي مادته الذي يبحث في تاريخ المنطقة العربية منذ أقدم عصورها وحتى فترة ظهور الإسلام وانتشاره خلال فترة الخلفاء الراشدين.وعلاوة على ذلك لم يظهر في المنطقة العربية حتى الوقت الحاضر باحث تمكن ان يقدم لوحده كتاباً عن تاريخ المنطقة الثالثين سنة على صدره، لم يتمكن باحث لوحده أن يتخطى ما بلغه الأستاذ طه باقر وما دام كتاب (مقدمة في تاريخ

الحضارات القديمة) هو الكتاب الوحيد الذي قدم لنا تاريخاً متسلسلاً لامتنا العرية في كافة أجزاء وطنها الكبير، فقد أوحى لي هذه الحقيقة بأن الأستاذ طه باقر لابد له وان كان مؤمناً ومبدراً للقول المشهور التالي: (يبقى جاهلاً إلى الأبد من لا يجيد تاريخ أمته) وبهذا يكون هدف الأستاذ طه باقر من هذا الكتاب هو ان يمكن الأمة العربية من أن تتطلع على تاريخها القديم خاصة انه تاريخ مشرق وحافل بالإنجازات لان التاريخ بالنسبة لأمة كالذاكرة بالنسبة للإنسان. وإضافة إلى ذلك فان التاريخ بمستوى ومحتوى كتاب الأستاذ طه باقر، فما كتبه الأستاذ طه باقر يعد عملاً فريداً ومهما حيث يعد مرور ما يزيد على الثلاثين سنة على صدره، لم يتمكن باحث لوحده أن يتخطى ما بلغه الأستاذ طه باقر وما دام كتاب (مقدمة في تاريخ



منها مالم نخص إلى أعماق التاريخ والتعرف على أسبابها الأولى.

هذا وان إقبال الناس على كتاب الأستاذ طه باقر قد استوجب إعادة طبعه طبعه ثانية بعد أربع سنوات من ظهور الطبعه الأولى، وقد عز على الأستاذ طه أن يعيد طبع كتابه من دون أن يتقسه، فظهر الجزء الأول من الطبعه الثانية والمنقحة عام ١٩٥٥م، وظهر الجزء الثاني عام ١٩٥٦م، وفي بداية السبعينيات أعاد الأستاذ طه باقر كتابة الجزء الأول من كتابه المذكور وجعله في جزئين، ظهر الجزء الأول عام ١٩٧٣م، وهو الجزء الخاص بتاريخ العراق القديم فقط، أما الجزء الثاني فلظروف طباعية مضافاً إليها تدهور صحة الأستاذ طه باقر، لم تستح الفرصة لطبع الجزء الثاني الخاص بحضارة العراق القديم، غير

إني علمت مؤخراً بأن آفاق عربية قد قامت بطبع الجزء الثاني.

والحقيقة أن المعلومات التي احتواها الجزء الأول عن تاريخ العراق القديم كانت من الغزارة بمكان، بحيث إنني لم أتمكن من إيجاد كتاب تاريخي سواء كان ذلك عربياً أو أجنبياً يزيد في معلوماته عن المعلومات التي قدمها الأستاذ طه باقر، ومن أجل التأكيد من صحة هذه الحقيقة فقد عملت مقارنة بين معلومات كتاب الأستاذ طه باقر ومعلومات كتاب آخر صدر حديثاً باللغة الألمانية عنوانه Fischerweltgeschichte

ومن خلال المقارنة تبين لي أن مؤلفي هذا الكتاب وعددهم خمسة باحثين مرموقين لم يتمكنوا من أن يأتيوا بشيء يزيد على ما كتبه الأستاذ طه باقر في كتابه، وان دلت هذه الحقيقة على شيء فإنما تدل على أن الأستاذ طه باقر اطلع على كل ما كتب عن تاريخ العراق القديم، بحيث أن كتابه لم يغفل شيئاً، واستمر كتاب الأستاذ طه باقر منذ طبعته الأولى والثانية والثالثة عام ١٩٧٣م وحتى صدور كتاب «العراق في التاريخ» الذي عام ١٩٨٣م، يمثل المصدر الوحيد الذي ينهل منه الطلاب والمحققون معلوماتهم عن تاريخ العراق القديم، وعلى الرغم من سعة معلومات كتاب «العراق في التاريخ» إلا انه لم يتمكن من إلغاء كتاب مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة من الاستعمال، بل برهن هذا الكتاب على أهمية كتاب التاريخ المشهور التالي: (يبقى جاهلاً إلى الأبد من لا يجيد تاريخ أمته) وبهذا يكون هدف الأستاذ طه باقر من هذا الكتاب هو ان يمكن الأمة العربية من أن تتطلع على تاريخها القديم خاصة انه تاريخ مشرق وحافل بالإنجازات لان التاريخ بالنسبة لأمة كالذاكرة بالنسبة للإنسان. وإضافة إلى ذلك فان التاريخ بمستوى ومحتوى كتاب الأستاذ طه باقر، فما كتبه الأستاذ طه باقر يعد عملاً فريداً ومهما حيث يعد مرور ما يزيد على الثلاثين سنة على صدره، لم يتمكن باحث لوحده أن يتخطى ما بلغه الأستاذ طه باقر وما دام كتاب (مقدمة في تاريخ

د . هديب غزالة



« هو الذي رأى كل شيء فغني بذكره يا بلادي

هو الذي عرف جميع الاشياء وافاد من غيرهم

وهو الحكيم العارف بكل شيء

لقد ابصر الاسرار وكشف عن الخفايا المكتومة

وجاء بانباء ما قبل الطوفان

لقد سلك طرقاً بعيدة متقلبا ما بين التعب والراحة »

ومن هذا الإعجاب جاءت قراءته للملحة التي اعيد طبعها مرات عدة وترجمت وست ترجمات لعدة لغات عالمية ، لهذا فللكامش ملك الوركاء مدين لباقر علامة الرافدين بما اضفى عليه من شهرة عالمية كبيرة لأن كل ما قام به كلكامش من رحلات ومغامرات من أجل الحصول على المجد والخلود لم تحقق له في حينه شهرة في البلاد بقدر الشهرة التي صنعتها له في القرن العشرين بعد الميلاد ترجمة الأستاذ باقر للمحنة الشهيرة فسال الرجلان بعد ذلك الخلود معا .

ومن تل حرمل قرأ باقر نصوص الطين الرياضية التي احتوت على مجموعتين فكانت المجموعة الأولى عبارة عن جداول رياضية خاصة بعمليات الضرب والقسمة واستخراج الجذر التربيعي وغيرها من الحالات الأخرى، اما مجموعة النصوص الأخرى فتضمنت حل المسائل الحسابية والهندسية ومنها أثبت العلامة باقر بان ما يسمى بنظرية فيثاغورس ونظرية اقليدس المتعلقة بتشابه المثلثات كانت

معروفة عند البابليين قبل مئتي سنة قبل علماء الهندسة اليونان بما يزيد عن الألف عام تقريبا، كذلك كانت هناك نصوص رياضية تخص مواضيع الجبر واللوغارتمات والمعادلات الجبرية ذات الدرجات الأولى والثانية والثالثة واكسبت خبرة تحليل مثل تلك النصوص الرياضية العلامة باقر خبرة كبيرة في مجال الرياضيات مما مكته من تدريس مادتي تاريخ علم الرياضيات والتراث العلمي العربي في قسم الرياضيات في كليتي التربية والعلوم .

ومن تل حرمل ايضا اعلن ((قارئ الطين)) عن اكتشاف قانون جديد بعد قراءة نصوصه وقد سمي هذا القانون باسم مثلثون (أو مملكة اشوننا) الذي سبق قانون حمورابي في تاريخه . ومع النباتات المذكورة في رقم الطين كانت لعالمنا الجليل وقفة اذ انه نشر دراسة مهمة حوت اسماء بعض النباتات ولفظها باللغتين السومرية والبابلية مع شرح لاستعمالاتها الطبية مستندا في ذلك إلى جملة مصادر تهتم بالطب والادوية المكتشفة من الواج الطين لت تشكل الا

نسبة ضئيلة لا تتجاوز ٥% من مجموع الاعداد الهائلة للنصوص المكتشفة، الا ان تلك النصوص اعطتنا مواضيع ابداعية متعددة منها المحمة والاسطورة وادب الحكمة وادب السخرية ، كما ان العراقيين القدماء الفوا في الغزل وكتبوا التراثيل والصلوات لتمجيد الهتهم ، كما كان الحزن والعزاء للنئين لا يخلو فانهم ابدا نصيب كبير في ادبهم فكانت لهم قصائد في رثاء ذويهم واعزائهم ومدنهم المحترقة دائما . ويبدو ان موضوع الاسطورة قد استهوى عالمنا الجديد اكثر من غيره من خلال حبه واعجابه الكبيرين بسيرة البطل كلكامش تلك السيرة التي قرأ نصوصها مبتدئا باللوح

الأولى منها :-

اهم مؤلفات العلامة في كتابه الموسوم ((من تراثنا اللغوي القديم ما يسمى في العربية بالدخيل)) الذي يعد واحدا من المؤلفات الطريفة والنادرة في حقل الدراسات اللغوية المقارنة.

وفي رحلة إثارية يأخذنا المرحوم باقر مع زميله المرحوم الأستاذ فؤاد سفر في سبت كراسات شملت مدن شمال العراق وغربه عرفنا فيها على كل المناطق الأثرية الواقعة في تلك المدن وهي من المؤلفات المهمة التي اعانت الباحثين كلهم في حقل الآثار.

ويتبغني لنا ونحن نذكر اهم المؤلفات والإسهامات العلمية للعلامة باقر التي من الصعب احتواؤها في هذا الاستدكار السريع ان نقف باعجاب امام مؤلفه الموسوم ((مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة)) بجزأيه الاول والثاني والذي يعد عملاً عالمياً ذا قيمة علمية عالية يأخذنا فيه في سياحة تاريخية باقر للمحنة الشهيرة فسال الرجلان بعد ذلك الخلود معا .

غير ذلك ، فخصص الجزء الاول للحديث عن تاريخ بلاد الرافدين وحضارتها ، في حين كان الجزء الثاني من الكتاب عبارة عن رحلة ممتعة شملت اهم مراكز الحضارات الانسانية فمن اهرامات مصر العجيبة نرحل الى الجزيرة والخليج العربي ومنها الى بلاد الشام باقوامهم وحضارتهم العريقة ثم الى حضارة الهند بغرانيها وبلاد الاناضول ومدن الحضارة الفارسية ذابها بعدها الى اكروبوليس اليونان ثم الى كوليسيوم وقصة سقوط روما مارا بحضارتي المايا والازتيك في امريكا الوسطى فكان هذا الكتاب سفراً خالدا من الاسفار التي تركها لنا العلامة باقر وشكل ولحد يومنا هذا اهم ما ألفه وكتب في هذا المجال .

ولايمان العلامة باقر بأن الحضارة الحديثة والانجازات العلمية المعاصرة

لم تأت من فراغ بل اقيمت على تراث ومنجزات سابقة كان الفضل في الكشف عن الكثير منها لعلم الأثار من خلال النصوص الطينية المكتشفة التي تتعلق بالمعارف العراقية القديمة

وخصوصا علم الرياضيات والفلك التي كان للعراقيين القدماء الريادة فيها، ولاستقصاء منجزات الحضارات الأخرى في مختلف مجالات العلوم والمعارف فقد قدم مؤلفه الموسوم ((موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة العربية الإسلامية)) والذي هو واحد من اهم المؤلفات العالمية في مجال تاريخ العلوم ، فضلا عن ذلك فأن نشر في مجلة سومر ، وكذلك ما قام به من ترجمة للعديد من الكتب ومن اهمها (من الواح سومر) لأستاذة صموئيل نوح كريمة الذي طلب منه شخصياً أن يترجم الكتاب، وكذلك فإنه ساهم مع مجموعة من الباحثين العرب في ترجمة كتاب (

تاريخ العلم) لجورج سارتون، ومن يقرأ الكتب المترجمة من قبل العلامة باقر فإنه لايشعر على الاطلاق بأنه مترجم من لغة اجنبية اذ انه كان شديد الحرص على انتقاء الجمل وسلابمتها اللغوية لهذا نجد ان كتبه وابهائه الكثيرة خالية من الاخطاء النحوية ولهذا امتازت مؤلفاته بصفتين اساسيتين الأولى: مادتها العلمية الغزيرة والثانية: المسحة الابدية التي كانت تثير الإعجاب . يقول الأستاذ الدكتور فوزي رشيد بهذا الصدد:

((قدمت له يوما مسودة مقالة قمت بكتابتها وطلبت منه قراءتها وابداء وجهة نظره بها وبعد محادثات من يدته القراءة هن رأسه وقال لي مبتسماً: هذه الجملة لا تعجبني لاحتمائها على مفعولين، لأن الجملة التي تحتوي على مفعولين كإمراة المتزوجة من رجلين)).



وهذا ليس غريباً على استاذنا الراحل اذ انه نشأ في بيت يهتم بالعلم فحرفت عائلته على تدريسه بشكل خاص الموضوعات اللغوية فدرس النحو والصرف على يد والده وعمه وكبار مشايخ المدينة الحلة.

وكما كان العلامة باقر متألفا في حقل التأليف العلمي فإنه كان مساهما كبيرا في حقل التنقيب الأثاري في العديد من المواقع الأثرية سواء كانت في العراق أم في خارجه عندما أحيل الى التقاعد مجبرا بعد انقلاب عام ١٩٦٣ بعد ان شغل منصبين مهمين الا وهما مدير الآثار العام ونائب رئيس جامعة بغداد لسافر الى ليبيا عام ١٩٦٥ ليعمل مستشارا في مصلحة الآثار وفي الجامعة الحلية واضعا هناك البنية الأولى في حقل الدراسات الأثرية عبر خمس سنوات من العمل عاد بعدها الى العراق بعد إعادة تعيينه تدريسياً في قسم الآثار - جامعة بغداد حتى تقاعده عام ١٩٨٧م.

باقر يلحق بلكامش

شح العطاء العلمي للعلامة باقر منذ عام ١٩٨١ ومنذ ذلك العام اعتبر نفسه ميتا بعد تدهور حالته الصحية أقر اصابته بجلطة دماغية أضطرته الى العلاج في أحد مستشفيات لندن عاد بعدها مدركا ان وقت اللصاق بصديقة كلكامش الى العالم الآخر قد اقترب بعد ان مل من مصارعة المرض الى ان جاء موعد الرحيل للقاء صديقه وكان ذلك يوم الثامن والعشرين من شهر شباط عام ١٩٨٤ .

وعلى الرغم من رحيل الجسد فقد بقي باقر حيا وخالدا لأنجازاته العلمية وفي التحليلن الأكاديمي والحللي ويبدو انه ليس بأديبنا شيء ع قدمه له يوازي ما قدمه للعلم من إنجازات مهمة سوى استذكاره في هذه المناسبة بعد ان نسبه المسؤولون في العراق، في حين كرمه العرب من خلال (اتحاد الأثاريين العرب)

عندما تم منحه درع الاتحاد في احتفال مهيب عام ٢٠٠٢ لما قدمه من خدمات جليلة في حقل العمل الأثاري، وجدير بالإشارة هنا للتاريخ نذكر ان هذه المبادرة جاءت بمقترح قدمه الاخوة من السودان الشقيق والذي جاء على لسان الدكتور عباس سيد أحمد الأستاذ في جامعة الملك سعود في المملكة العربية السعودية عندما اقترح ذلك في مؤتمر الاتحاد المنعقد في رحاب جامعة القاهرة عام ٢٠٠١ وقد أثار طرح هذا المقترح عاصفة من التصفيق في قاعة المؤتمر وكان تعبيراً عن تأييد الإشقاء العرب كلهم لتكريم علامتنا الجليل وكان هذا الموقف قد أثار في نفوسنا نحن العراقيين المشاركين في المؤتمر اذناك بهجة وغبنة في أن واحد ، فالبهجة جاءت ان اسم العلامة العراقي وأنجازاته العلمية كانت حاضرة بين الأثاريين العرب في اكبر ملتقى علمي لهم، واما الغصة فكانت سببها ان بلدنا لم يكرم ابنه بما يليق باسم بات يتردد في المحافل العربية والعالمية. وهنا ونحن نستذكر علامة الرافدين في ذكرى وفاته ندعو وزارتي الثقافة والتعليم العالي ان تعيد سك الميدالية التي قام بعملها فناننا الكبير محمد غني حكمت والتي تحمل على وجهها صورة العلامة باقر ويتم تخصيصها كجائزة لمسابقة علمية – ثقافية تهتم بالبحوث والإعمال الأثرية تحمل اسم العراق اولا واسم باقر ثانيا لأن باقر كان وفيا للعراق ولرأف العراق وطنبه .



طه باقر .. المعلم



صورة للراجل مع موظفي الآثار في الأربعينيات

الدنيا وخير البلاد، وفيه قل أهل الصين في بداية التعارف ومبتدا الأزمنة: «أهل الدنيا ما عدانا عمي، الا أهل بابل». ولد طه باقر في الحلة وهي سررة هذا الإقليم الخالد وكان نصيبه من الحياة سبعين عاما تولعت في عشرات القرون من عمر العراق وتاريخ الإنسان فأحصت حضارته وأثاره واستوعبت معطياته وتراثه.

احتل بابل في تاريخنا الموعل في الماضي البعيد مكانة عظيمة لا يرقى إليها الوصف ولا يعانقها النعت، كانت المشارق تضيء من ويت شجرتها المباركة، وكانت المغارب تنير من سنا برقها الواهاج. نشأت بابل في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد وكان قيامها وظهورها وتجليها أمرا عبقريا في التاريخ، وكان سقوطها واستئثارها ومغيبها حادثا جلا ونكبة قاصمة ورزية فجيسة في حوادث الكون.

ثم سكنت الدهور وسكنت الحقب ونام الزمن وصدقت رؤيا التاريخ، فكانت (الحيرة) و(الكوفة) و(الحلة) تأويل هذه الرؤيا وورثت الحلة وبغداد والكوفة والحيرة (بابل) وكانت هذه البلدان مرتاد بني عمر العلوين أبناء مؤرخ بابل وسلف نايغتها الراحل وهي منتجع أسلافهم وأقابهم من قبل ومن بعد منذ المئة الأولى في تاريخ الإسلام وما تزال عشيرته تسمى (بيت العالم).

تعلق طه باقر بمنزله الأول ووطنه المعرق وشغفه حبا لتاريخ بلاده، كانت الحلة أول أرض مس قرابها جلده وكانت أطالها ملاعب صباه وملتقى أترابه ولداته،.. ولا ريب ان عبت في ترابها طفلا وقلب أحجارها صغيرا واختبأ في زواياها يافعا وجاس خلالها شارخا.. رابطة تشد الطفل وهو غر وتستولي عليه وهو شاب وتجره الى التامل وهو كبير، وهكذا أنصرف طه باقر الى الآثار وأهتم بالماضي واختص بالتاريخ القديم، لقد وفي طه باقر للتاريخ القديم من دون كتابه الكبير (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة) في مجلدين ضخمين تبليغ أوراقيهما معا (١٤٠٠) صفحة، يختص الأول بتاريخ

العراق القديم في تسعة عشر فصلا، ويحتوي الثاني على حضارة وادي النيل في عشرين فصلا. وفي مباحث الكتاب من الدقة ولتحقيق العلم الغزير ما يجعله المرجع الأول والمصدر الأوفق لحضارات العراق ومصر، وقد كان مثله في هذا لكتاب وهو يطوف في الآثار ويسبح في غمرات التاريخ كمن سمع بالبحر ثم نادى منه ثم دخل فيه ثم أخذته الأمواج.

كنا قبل ان يبعث المرحوم طه باقر (لمحة كلكامش) نتعجب كيف لم يحتفظ أدبنا المأثور باللمحة في تراثه، وكان طلابنا يسألون عن المحمة في الأدب العربي وهم يسمعون ببالاحم المشهورة في تاريخ الآداب العالمية، وكنت أقول: ليست المحمة قول شاعر واحد ولو جمعنا شعر العرب في الأيام والحروب والشجاعة والحامسة كان ملحمة كبيرة عظيمة.. كنت أروح نفسي بهذا الرأي وأقنع طلابي بهذا التخرج، ثم كنت كشف المرحوم طه باقر عن ملحمة كلكامش غطاها.. ملحمة ظهرت قبل أربعين قرنا، يدهشنا خيالها العبقري البديع وصورها العجيبة.

وكننت أنكز ان تكون المعلقات وطنوج النعمان أوائل الأمثلة في الأدب العربي وأول النماذج في النظم وان يكون المهلهل مثلا بداية للشعر وكننت أقول في دروس الأدب، ان هذا النجاج الزاهر الباهر العظيم القديم لابد ان يكون طوى من حياته ضعف ما مر به منذ الجاهلية حتى الآن، وان عمره أضفاف الفترة التي يقترحها العلماء والنقاد، وان مبتداه الذي يدعي الدارسون انه كان بداية لتاريخ هو بداية النماذج التي شارخا.. رابطة تشد الطفل وهو غر وتستولي عليه وهو شاب وتجره الى التامل وهو كبير، وهكذا أنصرف طه باقر الى الآثار وأهتم بالماضي واختص بالتاريخ القديم، لقد وفي طه باقر للتاريخ القديم من دون كتابه الكبير (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة) في مجلدين ضخمين تبليغ أوراقيهما معا (١٤٠٠) صفحة، يختص الأول بتاريخ

بمدينته وجمعت بين ماضيه وحاضره

طه باقر .. شمولية المعرفة ودماثة الخلق

د . وليد الجادر

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحضور الكرام

نشكركم أو لا على حضوركم لتذكركم معا شخص الفقيه أستاذنا المرحوم طه باقر وتذكر عطاءه العلمي والإنساني ولتعبد ونكرر أسانا بوفاته المحزنة، وكذلك نبارك الأخوة الذين نشرروا للمرحوم سيرته وبعض مؤلفاته وكان أولهم الأستاذ الفاضل الدكتور حسين علي محفوظ في جريدة (العراق) ٤/٤/١٩٨٤ ثم كان للأستاذ الفاضل علي الحلبي وكان مؤثرا في كتابته عن ذلك الرحيل الحلي.

لقد كنت أحد تلامذته وكننت موظفا في الآثار وكننت زميلا له في قسم الآثار وخلال ما يناهز الربع قرن تلمست وزملائي في شخصه شمولية المعرفة ودماثة الخلق وحسن السيرة وطيب العالقة واستقرار الشخصية وتمسكا بالمبادئ وحبا للخير، وكان معطاء للعلم لم يبخل به على أحد وكان قد جمع ما يكمل هذا العلم من معرفة اللغات والتاريخ وعالم بالتقريب عن الآثار وغير الآثار.

وكان نعم النموذج في كل هذا وذلك ومرشدا في شؤون الآثار والبحث عنها وملما بمتعلقات هذا العلم المنتشعب والواسع بما فيه تلك المتعلقات الاجتماعية والنفسية، والغريب ان كل هذه المواصفات كانت متوفرة في شخصه الكريم، فكان متسامحا وان أبدى ملامة وكان حديثه موسوعيا يجمع بين مناهل العلم الى جانب الحكمة والموعظة التي يوصلها بأسلوب محب ومرح. ولقد انضح الأستاذ طه باقر في الأثرين أهمية الآثار القديمة وأهمية الإفادة من التراث القديم، فلقد كان من أوائل العراقيين المتخصصين في حقل الآثار والكتابات القديمة، وكان من أوائل الذين شدوا اهتمام المتخصصين الآخرين بالعلوم الأخرى والذين عرفوا تاريخ العراق الحضاري ومراحل تطور العلوم وتاريخها من خلال كتابه المعروف (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة)، فكان المنهل والمرجع الرئيس للباحثين من المتخصصين بالآثار وغيرهم من المهتمين بالرياضيات وعلوم الفلك والطب والقانون والسياسة والعلاقات الدولية، وكان طيبا بين أقرانه ومعارفه في شمال إفريقيا والعالم،

العراق والوطن العربي. وكان إنتاجه الأخر مشاركة مع المرحوم فؤاد سفر وهو المرشد الى مواطن الآثار والحضارة الذي كان طبع الأجزاء الأولى منه ذا فائدة كبيرة أخرى لكل المهتمين بأصول الحضارة ومواطن الآثار وأصالة التراث في هذا الجزء الهام من الوطن العربي، ولقد اهتمت مراكز علمية عديدة خارج الوطن بها.

ان ما نشره من هذا المرشد المدعم بخرايط توضيحية تعد ذات أهمية كبيرة أيضا، ثم كانت عملية اشتغاله في ليبيا لسنوات عديدة عملية يشار إليها بالبنان فلقد ساهم المرحوم في توضيح جوانب مهمة في تاريخ شمال إفريقيا، وأفاد قراء العربية بما نشره في السفر الخاص بليبيا عبر التاريخ حيث كتب الجزء الخاص بعصور ما قبل التاريخ فيها، كذلك ساهم في ترتيب المتحف الوطني في مدينة طرابلس بليبيا وعمل مستشارا في مصلحة الآثار الليبية ١٩٦٦-١٩٧٠ إضافة الى إشرافه على اعمال التقريب والمسح الأثري والإشرافه على أهم نشرة دورية تصدر في ليبيا والمعروفة باسم (ليبيا انتيكوار) ولمدة خمس سنوات ١٩٦٠-١٩٦٥ وكان قد ترك أثرا طيبا بين أقرانه ومعارفه في شمال إفريقيا والعالم،

طه باقر .. استاذ جميع الأثاريين

د. فاضل عبد الواحد علي

قف للمعلم وفه التبجلا

كاد المعلم ان يكون رسولا لا يوجد شعب في العالم تأخر يوما في إطرأه المعلم وفي الاعتراف بفضله الكبير على تلاميذه وعلى نشره للعلم والمعرفة، والأستاذ طه باقر يكاد يكون أستاذ جميع الأثاريين العاملين في قسم الآثار- كلية الآداب، ولذلك كان لابد لأستاذنا هذا القسم ان يخلدوا فضله عليهم، كما فعل هو مع أستاذه ص.ن. كريمة عندما قام بترجمة كتابه «الوواح من سومر»



مع الأستاذ فواد سفر

بلادي. هذا بالرغم من أننا قد تحدثنا في الصفحات التي مضت عن رحيل الأستاذ طه باقر الا انه في الواقع ما يزال حيا بيننا، حيث ان كتاباته التي نقرأها عند الحاجة ونستفيد منها كثيرا وأراءه التي نستنير بها من حين لآخر جعلته باقيا معنا ولكن بصورته المعنوية طيبعا، ولذلك عندما كتبت عنه كلمة تأبينية في العدد (٥٤٢) ٦/ آذار/ ١٩٨٤ من جريدة (بغداد اوبزيرفر) وكتبت عنه أيضا في العدد (٨٥٦) ٢٠/ شباط/ ١٩٨٤ من مجلة (الف بء) بمناسبة مرور عام على وفاته قلت في المناسبة: العلماء عندما يموتون يصبحون شهداء، أي بمعنى أنهم لا يموتون كما يموت الناس، بل يبقون أحياء بيننا، كما يبقى الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون. وفي ختام هذا الكتاب قد يقول البعض ان الأستاذ طه باقر على الرغم من الكتاب لم يطرق الى ذلك على الإطلاق، وعزري بهذا الخصوص البصيص الشعري التالي:

وعين الرضا عن كل عيب كليله

ولكن عين البغض تبدي المساويا

القيت في اربعينية طه باقر عام ١٩٨٤

وادي الرافدين والوطن العربي، وهو عالم معروف داخل القطر وخارجه، ولكن هناك موضوعا واحدا بالذات نعتقد من خلال تلمذنا على يده ومن خلال زملاتنا نأمل في ان تطول وتتول أستاذنا شبيطا بين زملائه وطلبته في أروقة جامعة بغداد يغنيهم بعلمه واطلاعه الواسع وخبرته العميقة. وقسم الآثار بكلية الآداب مدين الى الأستاذ طه باقر بفضل كبير عندما ساهم هو والمرحوم الأستاذ زكي حسن والمرحوم الأستاذ فؤاد سفر بوضع اللجنة الأولى التي قام عليها القسم عام ١٩٥١م ومنذ ذلك الحين والأستاذ طه باقر يسهم في تطوير القسم ونشاطه ومشاريعه العلمية. لقد كتب الأستاذ طه باقر وتحدث وترجم فأجاد وأبدع في موضوعات وجوانب عديدة من تاريخ الحضارات القديمة والتراث العربي الإسلامي في

بغداد على الفكرة وعلى تحمل نفقات الطبع، وعندئذ عكف زملاء الأستاذ طه باقر ممن تلمذوا على يده ونهلوا من علمه الغزير على أعداد أبحاثهم كل في حقل اختصاصه، وهكذا خرج إلى النور هذا الإصدار الخاص الذي يحمل بين دفتيه، إضافة إلى قيمته العلمية، معاني وعواطف عزيزة لاحتجاج إلى شرح أو تفصيل. ولقد ألقى علينا زملاؤنا الأفاضل بقسم الآثار مهمة صعبة عندما كلفونا بمهمة كتابة المقدمة لهذا العدد الخاص، فلأستاذ طه باقر عالم كبير بكل ما في هذه الكلمة من معنى وهو مرب فاضل تلمذ على يديه أعداد كبيرة من الطلبة وباحث أغنى المكتبة العربية والمكتبة الأجنبية بكتبه وأبحاثه الأصلية وإداري مرموق تقلد مناصب عديدة مهمة، كما انه أسهم وبشكل فعال في العديد من المؤتمرات

إلى اللغة العربية، ولهذا انتهز أستاذة القسم فرصة بلوغه السادسة والستين من العمر فأصدروا عددا من مجلة كلية الآداب خاصا بالأستاذ طه باقر، ومثل هذه الإصدارات تسمى باللغات الأوربية (Festschrift)، ولكي اترك المجال لأستاذة قسم الآثار أن يعبروا عن اعترازهم بأستاذهم الجليل اعرض في هذا المجال ما جاء في التقديم للعدد الخاص من مجلة كلية الآداب: «بدافع من الوفاء والامتنان والتقدير تقدمت رئاسة قسم الآثار إلى مجلس كلية الآداب الموقر بتاريخ ١٥/١/١٩٧٨م، بمقترح يتضمن إصدار عدد خاص من مجلة كلية الآداب هدية إلى الأستاذ طه باقر ناصر، أستاذ الحضارات القديمة بقسم الآثار، جامعة بغداد، وقد لبي مجلس الكلية الدعوة واقترن ذلك بموافقة رئاسة جامعة

القيت في حفل تكريمه عام ١٩٧٨



العراق

من اين جاءت هذه التسمية ؟

نصر في القرن السادس ق.م.

مصطلح بلاد ما بين النهرين

وأضاف بعض أولئك الكتاب الكلاسيك مصطلحاً جغرافياً جديدا هو (ما بين النهرين- ميزوپوتاميا) الذي شاع استعماله في البلاد الأوروبية في أطلاقة على القطر العراقي حتى بعد ذبوع استعماله مصطلح العراق.

فمن يا ترى كان أول من استعمل هذا المصطلح وما منشؤه؟ وللإجابة على ذلك نقول ان هذه الكلمة يونانية وتعني ما بين النهرين أو بلاد ما بين النهرين
قد أطلقها المؤرخ اليوناني بوليبيوس (القرن الثاني ق.م.) وتبعه في ذلك الجغرافي سترابون (القرن الأول للميلاد) على ذلك الجزء من العراق المحصور بين

دجلة والفرات من الشمال الى حدود موضع بغداد تقريبا، أي انه يرادف على وجه التقريب مصطلح (الجزيرة) الذي أطلقه البلدانيون العرب على القسم الشمالي من العراق المحصور فيما بين النهرين، ثم ذاع استعمال مصطلح (ميزوپوتاميا) في اللغات الأوروبية على اثر ترجمة التوراة الى تلك اللغات، ذلك ان التوراة تذكر إقليميا بصيغة (أرام نهرايم)، ويعني حرفيا أرام النهرين، أي بلاد ما بين النهرين،

عند اليونان منذ القرن السادس ق.م. وفي بعض الفرات والخابور ومهما كان الحال فإنه لما ترجمت التوراة من العبرية الى اليونانية ترجم مصطلح أرام نهرايم بكلمته (ميزوپوتاميا) التي قلنا ان بوليبيوس كان أول من استعمالها على ما يرجع، ثم دخل مصطلح (ميزوپوتاميا) الى اللغات الأوروبية بعد

ترجمته التوراة اليها

وصار يطلق ليس على القسم الشمالي من العراق، بل اتسع مدلوله بحيث أطلق على القطر جميعه.

ولبعد مرة أخرى الى كلمة العراق في استعمال الجغرافيين العرب لها، فإنها بدورها تطورت واتسع مدلولها فان اسم العراق ورد في الشعر الجاهلي واقترن نكره لدى شعراء البادية بالرءاء والخيرات، وكان العرب في بادئ الأمر يطلقون على بلاد ما بين النهرين الشمالية اسم الجزيرة الذي قلنا انه يكاد يطابق مصطلح (ميزوپوتاميا) اليوناني في أصل ما وضع له وأطلقوا كلمة العراق على القسم الجنوبي الذي قد يميزونه بنبعته بالعراق العربي، كما سموا السهل الرسوبي بالسواد الذي صار عندهم أيضا يرادف مصطلح العراق حيث أطلقوه على إقليم بلاد

أما الحد الفاصل بين الجزيرة والعراق فلم يكن واضحا وثابتا في العصور المختلفة فكان عند أوائل الجغرافيين العرب الخط المار تقريبا من الانبار على الفرات (قرب الفلوجة) الى تكريت على دجلة وكانت الانبار وتكريت داخلتين في سواد العراق، ثم توسع البلدانيون المتأخرون فعمدوا الحد الفاصل بين العراق والجزيرة أكثر الى ما فوق الفلوجة بحيث شمل مدنا أخرى على الفرات الى حدود عانه تقريبا.

وأخيرا أتسع استعمال مصطلح العراق عند الجغرافيين العرب حتى صار يشمل البلاد الواقعة بين الموصل وعبادان طولا وعرضا وبين عندي القادسية غربا الى حلوان شرقا أي الى شرقي خاتقين، أي العراق الحالي تقريبا.وفي عهد السلاجقة في القرنين الخامس والسادس للجزرة أتسع إقليم العراق أكثر فشمل ما يجاور العراق الآن من القسم الجبلي من إيران الى مدينة همدان ونبولرت حدود العراق الحالية بوجه خاص

في العهد العثماني وفي فترة الإحتلال البريطاني.

عراقيون

من زمن التهج

زيارة إلى متحف اللوفر توهي بالكتابة عن جلامش



في مقدمته للطبعة الرابعة الملحة «جلامش»، أكد الباحث الأثري العراقي الراحل طه باقر، أن هذه الملحة هي أقدم نوع من أدب الملاحم البطولية في جميع الحضارات، وأنها أطول وأكمل ملحمة عرفتها حضارات العالم القديم، وليس هنالك ما يقرن بها أو ما يضاهيها من أداب الحضارات القديمة قبل الإلياذة والأوديسة في الأدب اليوناني، وقد ظهرت هاتان الملحمتان بعدها بثمانية قرون. وأبعد من ذلك ذهب إلى أنه لو لم يأتنا من حضارة وادي الرافدين،

منجزاتها وعلومها وفنونها، شيء سوى هذه الملحة، لكانت جذيرة بأن تتبوأ تلك الحضارة مكانة سامية بين الحضارات العالمية القديمة. هذه الملحة التي دونت قبل أكثر من أربعة آلاف سنة ما زالت مثار اهتمام واسع على صعيد عالمي. ولدى زيارته جناح الآثار العراقية في متحف اللوفر بباريس، ومشاهدته تمثالا لجلامش وهو يحمل أسدا المياد، تبلورت في ذهن الدبلوماسي المغربي عبد القادر الجموسي أحداث الملحمة تجري الآن وكتب عنها، مع التمسك بالمضامين والسياقات العامة لها. وبالإضافة إلى فصل الاستهلال،

واصل صرد حكايته الملحمية عبر أربعة أسرود أخرى، وقد حمل الفصل الثاني عنوان «جلامش وأنكيبدو: الميثاق المقدس»، وتضمن موت أنكيبدو. وأطل علينا الفصل الرابع «تقريبية جلامش: رحلة البحث عن الخلود»، متضمنا الأجزاء الثلاثة التالية: البشر.. العقارب/ سيديوري صاحبة الحانة/ أورشابي عابر بحر الموت. أما الفصل الخامس والأخير «أوتابشتم يحكي قصة الطوفان»، فقد تألف من ثلاثة أجزاء

كالتالي: لقاء جلامش وأوتابشتم قصة الاختيار والعودة. في الفصل الأخير يلخص الجموسي محنة جلامش وخيبة مسعاه وعدم يأسه في أن. لقد حصل على نبذة الخلود من أوتابشتم الذي اختبره بأن ينام ستة أيام كاملة من دون أن يحرك ساكناً، وذلك بعد مخاضات ومغامرات عسيرة ومميّنة شهدها رحلته الجريئة، فقد خلالها صديقه أنكيبدو . وقد طلب أوتابشتم في أورشابي أن يقود سفينة تحمل جلامش إلى أرضه الأولى. وكان جلامش، وهو يحمل معه نبذة الخلود، يقول لرفيق عودته وهو ممتلئ بالغبطة والزهو: «إن هذه

النبذة تطيل عمر الإنسان وتعيد إليه عنقوان الشباب.. سأحملها يا أورشابي مفاخرأ بها أبناء شعبي فأجدد لهم نضارة أيامهم وأعيد إليهم نكهة الحياة.. وحين أشيخ بدوري سأتناول منها لأستعيد شبابي ومجدي». جلامش الكاتب: عبد القادر الجموسي

الشعر الموزون في ملحمة كلكامش يقول ساندريز في كتابه "ملحمة جلامش : إن نسخة ملحمة جلامش المدونة باللغة الآشورية مكتوبة بشعر موزون حرّ، وفي كل شطر منه أربع نبرات، أو وحدات إيقاعيّة. بينما النسخة المكتوبة باللغة البابلية القديمة، فأشطرها أقصر، ولكل شطر وحدتان إيقاعيتان. يضعنا ساندرز منذ البداية أمام ضرورتين: الأولى تعيين لغة النصّ، وثانياً قراءة النصّ إمّا بلغته الأصلية أو عن طريق ما يُسمّى باللغة الإنكليزية: TRANSLITERATION أيّ نقل أصوات حروف لغة إلى لغةٍ أخرى.

هناك عدّة دراسات باللغة الإنكليزية عن الوزن الشعري في ملحمة جلامش، لكنّها، والكلام لا يخلو من التظنّن والترجيح من طرفي، تقطع الشعر على غرار تقطيع الشعر الإنكليزيّ أوّلاً، وثانياً تستدل على توكيد المعاني أو عدهم عن طريق الحروف الصحيحة وحروف العلة، كما فعل مورين مثلاً في كتابه: (أسطورة من بين النهرين)، فحلّل نمونجاً شعرياً قديماً من غير ملحمة جلامش(ص ٦٦). تحليل طريف لا ريب، إن صحّ، لا ضرر. لكن من الأفضل ألاّ يغيب عن البال أنّ موسيقى الحروف، أو دلالاتها تختلف من لغة إلى أخرى.

حاول طه باقر أن يدلّو بدلوه في هذا الباب، فكتب نبذة مطوّلة نسبياً عن الوزن في الملحمة، ربّما تقليداً للباحثين الغربيين، ولكن دون أن يدلّنا على تقعية واحدة. لم يمسّ طه باقر الوزن السومريّ، فاقصر على " الشعر البابليّ أيّ الشعر الذي نظمّه شعراء العراق القديم باللغة الأكديّة (البابلية والآشورية) ". يتردّد مصطلح " الشعر البابليّ " كثيراً لدى طه باقر، ولكن لا نلمس ترفيقاً في كلامه، بين الشعر البابليّ والشعر الآشوريّ من حيث الوزن كما رأينا أعلاه في ساندريز . يقول طه باقر بعد ذلك : يعتمد الوزن، أيّ العروض، في الشعر البابليّ مثل أشعار بعض الأمم الأخرى، كالشعر العربيّ واليونانيّ واللاتينيّ وغيرها على مبدأ تجزئة الكلمات إلى مقاطع SYLLABLE التي تتناوب ما بين المقاطع الصغيرة والمقاطع القصيرة أيّ بحسب مصطلحات العروض العربيّ "أوتاد" والأسباب التي أسماها البحر الحركة والسكون وفي بعض الأشعار الأخرى النبرات أيّ التثنيدي أو التخفيف وجمع عدّة مقاطع يتألف ما يصطلح عليه في الشعر العربيّ "التفعيلات" أيّ ما يضاهي (FOOT) في الشعر

العدد (1513) السنة السادسة الخميس (21) ايار 2009

زيارة إلى متحف اللوفر توهي بالكتابة عن جلامش

الإنكليزي. ثمّ بجمع عدّة تفعيلات يتكوّن شطرا البيت. وعلى هذا الشكل جاء إلينا الشعر البابلي " (ص ٣٢). هذا تعميم ومطلسم قليلا ولا شك إن المعنى في قلب الشاعر. هل تعرّفنا على أيّ وزن في الشعر البابلي من خلاله؟ ما علاقة الشعر اليونانيّ والشعر اللاتينيّ بالشعر البابليّ وزنا؟ بالطبع، ما أفادنا به طه باقر هو نقل بعض الأشعار القديمة بأصواتها الأصلية، ولكنّ بحروف عربية. من ذلك مثلاً، خطاب سيديوري صاحبة الحانة إلى جلامش :

سايبنم أنّ شاشمُ أزرُكا أنا كلكامش كلكامش ايّش نَدال بِلَطَمُ شَا تَسْخُورًا لا نَتْنَا حنمًا ايلاني اَبْنُو أُوليِبْتُمُ بِلَطَمُ أَنَا قَاتيشوثو تو صيِطو اوري وموشي خَدَاوُ أَنَا " فيما يلي الترجمة العربية: " يا كلكامش إني أين أنت سائر لن قطع الحياة التي تنشد فالآلهة حينما خلقوا البشر كتبوا عليهم الموت واحتفظوا بالخلود لهم يا كلكامش دغْ معدتك تكون ممثلةً وشرّح ليّل نهار"

من التقطيع أعلاه، نتعرف على جملة من الحقائق، منها:
١- يتفاوت عدد التفاعيل من شطر إلى شطر.
٢- وفقًا لتلك التفاوت لا يوجد شطران.
٣- يحتوي الشطر الأوّل على سبع تفاعيل، مع زيادة مقطع، بينما يحتوي الشطر الذي يليه على أربع تفاعيل.

٤- تتكرر زيادة مقطع في الأشطّر التالية: الثالث والرابع والخامس والسابع.

٥- كل التفاعيل على وزن فعْلُنْ ما عدا التفعيلة الأولى في البسطر الرابع، فقد جاءت على وزن فعْلُنْ وبما سببها نطقنا غير السليم للكلمة.

عند مراجعة الأمثلة الأخرى التي أوردها طه باقر، وتلك التي أوردها المترجمون الإنكليز، يظهر أنّ كلّ التفاعيل على وزن فعْلُنْ. على ضوء تلك الأمثلة، لا يساورني الشك أنّ ملحمة كلكامش مكتوبة على بجرّ الخيب، وتفعيلته الأساسية إمّا فعْلُنْ أو فعْلُنْ. بحر الخيب كما هو معروف متولّد من بحر المتدارك وتفعيلته :فاعْلُنْ وحين يصيهاها الخبن تصبح : فعْلُنْ أَوْفَعْلُنْ

ثمّة أسماء عديدة وكلّها طريف لبحر الخيب. منها: الرقاصات، وضرب النواقيس، وقطر الميزاب. (ممدوح حقّي – العروض الواضح) (ص ٧٨-٧٩). من أشهر القصائد على هذا البحر، قصيدة أحمد شوقي : مضناك جفاهُ مرقدُه وبكاهُ ورَحْمُ عُوْدُه "حيرانُ القلبُ معذّبُه مقروخُ الجفنُ مسهدهُ



استاذي طه باقر

الدكتورة بهيجة خليل إسماعيل

معرفتي بالأستاذ طه باقر تمتد الى سنوات الدراسة في قسم الآثار من كلية الآداب، فعرفناه نحن خريجوا هذا القسم أستاذاً لامعاً في اختصاصه، غزيراً في معرفته وعلمه وشخصية محببة لتلاميذه وأصدقائه.

لقد كان الأستاذ طه باقر الى جانب حرصه الشديد على تغطية المحاضرة بمدانته العلمية الغزيرة يعمل على تقريب المعلومات الى مفاهيم الطلاب بأساليبه المشوقة وكان استرساله المنطقي والموضوعي في طرح المادة العلمية السبب الهام في شد الطالب الى سماع المحاضرة والإصغاء اليه بشوق، والى جانب حديثه الأستاذ عرفناه محباً للمزاح، واذكر مرة وحينما كنت ادرس إحدى الرقم

الطبية في غرفة الدراسات فوجت بزيارته فوجدني امسك برقيم طيني في يدي اليسرى وفي الأخرى قطعة من الخبز، فبادرني بالقول- ها شنو- ديري بالبح لتروحين تاكلين التالبيتية وعالج بجذرية.. وتكرطين اسم الإله.. بعدين شيلخصنا منه.

عرف الأستاذ طه باقر في الأوساط العربية والعالمية مؤرخاً من الطراز الاول فابحائه ودراساته الأصلية وتراجمه الدقيقة للمؤلفات الأجنبية في الحضارة والتاريخ أغنت المكتبة الأثارية العربية بمراجع هامة

للباحثين والاختصاصيين، كما ان مساهماته الجادة في المؤتمرات واللقاءات العلمية خارج القطر عززت مكانته الاجتماعية والعلمية في الأوساط الأثارية الدولية.

لقد اهتم الأستاذ طه باقر بين اهتماماته المتعددة بدراسة النصوص الخاصة بالرياضيات عند البابليين، فقام بدراسة الرقم الرياضية من موقعي تل حرمل والضياعي واثبت من خلال دراسته بان حضارة وادي الرافدين سبقت الحضارة اليونانية في الرياضيات، وخاصة في مجال الهندسة والجبر، كما لاحظنا ذلك واضحا عند الرد على نظرية اقليدس وفيثاغورس.

والى جانب اهتماماته بالبحث العلمي ساهم الأستاذ طه باقر مساهمة جادة في أعمال التققيب، حيث ترأس بعض الهيئات التقنيبية في عدة مواقع اثرية منها تل حرمل وتل الدير وتل الضياعي وواسط وعركوف.
القيت في الحفل التكريمي الذي اقيم للعلامة طه باقر ١٩٧٨



واللعنات
- والبردي
يكفييني
للدفع من البرد
- ولما سمعت

مقالته
- ضربته ومسخته خلدا
- وجعلته يعيش في وسط -
فلايصيد...
- ولا ينزل إلى (٦)
أما الترجمة التي اعتمدت الأصل البابلي
وشائخ القريبى العربية البابلية فنجدها
تدوح بشاعرية عالية:
ثم أحببت ايشولنو بستاني أبيك
الذي كان يحمل إليك السلال المملأ
بالتغر بلا انقطاع
وجعل ماندتك عامرة بالوفير من الطعام
كل يوم
وكلمت (رَكَف) رفعت اليه عينيك فراودته وقلت
له:
تعال إلي يا حبيبي ايشولنو ودعنا
تندوق منعة رجولتك
مد يدك والمس مغاثن جسمنا
فقال لك ايشولنو
ماذا تدعين مني؟
ألم تحبزي أُمي فأكل منها حتى أكل طعام
اللعة والعار؟

وهل يدرا أخص القصب الزمهريري
وهل ستكون الحلفاء غطائي إزاء البرد
الكارص
ولما سمعت كلامه هذا ضربته بعصاك
ومسخته ضفعا
وجعلته يعيش في عذاب مقيم
فإذا ما أحببتني فستجلبين مصيري مثل
هؤلاء.(٧)

إن نص ملحمة جلجامش، الذي هو أكثر
من نص إذا أخذنا بتعريف الأنتولوجي
الفرنسي كلود ليفي سترويس للنص
الميثولوجي.(٨) وبوحداته التكوينية
السميئة، هو رؤية للوجود الإنساني
وقلقته، وقد تمكن باقر من ترجمتها
في كتاب يمكن وصفه على الطريقة
الأدونيسية بأنه <<أم الكتب القديمة
(٩)

مضمون الأسطورة في خطاب طه باقر:
في غمرة حماسه للمحمة جلجامش، راح
باقر يعد لنا مناقبها ويرصد تأثيراتها
في الآداب العالمية القديمة، وأصدائها
المتأخرة في الأدب العربي، وذلك على
صعيد الثقافة العامة بحسب مصطلح
محمد عابد الجابري في <<تكوين
العقل العربي>> الذي يطال حقل
الثقافة الرسمية المكتوبة بشقيها البياني
والعرفاني، فالملحمة في شكلها الناجز
تظهر على أنها:

أولا: أحسن نموذج يمثل لنا أدب العراق
القديم.

ثانيا: يصفها الباحثون بين شوامخ
الأدب العالمي.

ثالثا: أقدم نوع من أدب الملاحم البطولي
في تاريخ جميع الحضارات.

رابعا: وهي أطول وأكمل ملحمة عرفتها
حضارات الشرق الأدنى.

خامسا: هي أقدم ملحمة، فقد دوتت
في الألف الرابع قبل الميلاد، وحوادثها

ترجع إلى أزمان أبعد من هذا التاريخ.

سادسا: تمثل الملحمة التراجيديا
الإنسانية الأزلية المتكررة.(١٠)

هذا غيض من فيض ما يكتبه طه باقر عن
ملحمة جلجامش، كتابة كان يريد لها أن

التي شهدت انفراجا في
أواخر عقد السبعينيات
وسمحت للملحمة بالمرور
إلى المكتبات السورية عادت
وأوصدت الباب نهائيا على إثر

خلاف، وبذلك حالت دون أن تصل
الملحمة الى أكبر قطاع ممكن، وستكون
هذه الظروف القطرية ملجأ لانتشار
ترجمات للملحمة وأخص منها ترجمة
فراس السواح التي ستعوض النقص
ما أمكن.

لكي يتعرف معنا القارئ على الفارق
بين الترجمة الأولى والثانية، سوف
ترنو إلى آماننا مقطعين للمقارنة. نتحدث
الملحمة عن محاولة الآلهة عشتار وصال
جلجامش، بعد أن عاد وخله انكيود من
مغامراتهما التي نحرا بها (خمبابا)
الشیطان الذي يحرس غابة الأرز.
ترنو إلى آماننا ربة الجمال والولادة
والخصب إلى جمال جلجامش (تعال يا
جلجامش وكن عريسي) لكنه يصدها
ويعيب عليها هانتها وتعد عشاقها الذين
مسختهم على منيح شهوتها، في (تموز)
إلى (طائر الشقراق) الذي لا يزال يندب
جناحه، إلى (ايشولنو) بستاني أبيها
الذي مسخته ضفعا . تقول الأبيات
في الترجمات القديمة والمرقمة من ٦٤-

على لسان جلجامش.

والنظر إلى وشائخ القريبى الوثيقة بين
اللغتين العربية والبابلية.(٤) ويضيف
(واعتمدت على أحدث وأهم ترجمات
عالية موثوقة لمشاهير الاختصاصيين
مستقيدا من المقارنة).(٥)

هذا الجهد الريادي الكبير الذي توج
نفسه باصدار طبعة شعبية للملحمة
عليها تتجاوز الإطار الاكاديمي، الذي

نشأت فيه الملحمة سوف تقف القطريات
العربية لتحول دون مروره وستشهد هذه

الحقيقة على تدخل السياسي بالثقافي
الأسطوري، فالعلاقات السورية العراقية

والموسومة بملحمة جلجامش (١٩٤٦))
والتي ستظل بمثابة اطار مرجعي
لترجمات عربية لاحقة- سوف نتعرف
عليها- أقل جمالية وتعبيرا في ترجمة
طه باقر اللاحقة.

إن، بين الترجمة الأولى التي نشرتها
مجلة (سومر) العراقية، والتي وضعت
نصب عينها بث الثقافة الأركيولوجية
في العراق، وبين الترجمة الثانية التي
نشرتها وزارة الاعلام العراقية وبالحاح
من طه باقر، هناك فارق في الدرجة
وفي النوع، أقص مضجع طه باقر، ولم
يعرف طعم الراحة إلا بعد أن قام بأخراج
الملحمة بثوبها الجديد. يقول باقر عن
الترجمة الأولى (كانت ترجمة حرفية،
ولم يتسع الوقت لمقابلتها بالنصوص
الأصلية الا في مواطن قليلة) وقد

اغتمم باقر فيما بعد تدريسه للنصوص
المسمارية لطلاب قسم الآثار في كلية
الآداب، حتى جمعت لديه المادة الكافية،
لأن ينهض بترجمة جديدة للملحمة ومن
لغتها الأصلية (البابلية) وذلك بأسلوب
عربي مدين وديق نظرا لوشائخ القريبى
الأوائل في خرائب نينوى في شمال
العراق، الفريق الذي يضم كلا من
(أوستن ليرد) و(هرمز رسام) و(جورج
سميث) وتوالت الكشوفات في مواقع
أخرى.

كان أول من ترجم الملحمة هو جورج
سميث من المتحف البريطاني ١٨٧٢
فأثار عمله رجة حماس، قام بعدها
واحد من علماء الأشوريات هو بول
هوبت، بنشر هام عام ١٨٨٤- ١٨٩١
تحت عنوان ملحمة نمرود البابلية ان
جلجامش هو نمرود الذي تذكره التوراة
(سفر التكوين ١٠:٨-١٠). كذلك فان
النص الذي ترجمه باقر وفرسيوس تحت
عنوان (ملحمة جلجامش والطوفان) هو
ترجمة حرفية لم تلق قبولا عند طه باقر
فيما بعد- عن ترجمة الكسندر هايدل

التعرف على مضمون وموقع الأسطورة
في صيرورة فكر طه باقر، سوف أقوم
بتقسيم اجرائي مؤقت يخدم السياق
الذي نتحرك فيه. التقسيم الأول يقع
في المتن، بمعنى أنه يطال نص الملحمة
وتاريخية، شكله والتحويلات التي طرأت
عليه، وذلك لمعرفة مدى الجهد الذي
بذله طه باقر في سعيه إلى تقديم نص
أسطوري في غاية الجمال والرويق.
أما التقسيم الثاني وبالأصح المستوى
الثاني، فإنه يدور في فلك فهم طه باقر
للمحمة جلجامش وذلك من خلال المقدمات
التي كتبها للترجمة العربية الأولى
والثانية، ولذلك فإنتا لن نكتفي بالدوران
معه بل سنناوشه لنكشف ما يبرزه هذا
الفهم وما يستت عنه أو يحجبه.

على صعيد النص: يرقى تاريخ اكتشاف
الملحمة إلى أواسط القرن الماضي، فقد
عثر على القسم الأعظم من الملحمة في
خزانة الكتب العائدة الى الإله (نبو)
إله الحكمة والكتابة، في مكتبة قصر
الملك الأشوري آشور بانيبال (٦٦٨-
٦٣٣ق.م). وقد عثر عليها فريق المنقبين
الأوائل في خرائب نينوى في شمال
العراق، الفريق الذي يضم كلا من
(أوستن ليرد) و(هرمز رسام) و(جورج
سميث) وتوالت الكشوفات في مواقع
أخرى.

كان أول من ترجم الملحمة هو جورج
سميث من المتحف البريطاني ١٨٧٢
فأثار عمله رجة حماس، قام بعدها
واحد من علماء الأشوريات هو بول
هوبت، بنشر هام عام ١٨٨٤- ١٨٩١
تحت عنوان ملحمة نمرود البابلية ان
جلجامش هو نمرود الذي تذكره التوراة
(سفر التكوين ١٠:٨-١٠). كذلك فان
النص الذي ترجمه باقر وفرسيوس تحت
عنوان (ملحمة جلجامش والطوفان) هو
ترجمة حرفية لم تلق قبولا عند طه باقر
فيما بعد- عن ترجمة الكسندر هايدل

بالمادوية المبتذلة، والتي سنأتي عليها
لاحقا، ولدت ميتة، بحيث ينطبق عليهم
قول الشاعر (كساع الى الهيجا بغير
سلاح)

إن البحث عن الدور الريادي ل(طه
باقر) هو بحث عن موقع الأسطورة
في فكر طه باقر، والذي يعكس في تلك
الفترة كما سنرى، انحيازًا في فهمه
لأسطورة، انحيازًا يجلينا بشكل
واضح إلى الإطار المرجعي الذي ينهل
منه، وأشير الى ما يمكن أن نصلطح
على تسميته ب-(المدرسة الأمريكية في
فهم الأسطورة) التي تعكس في رؤاها
مواقف عديدة مختلفة ومتباينة في آن .

من هنا فيأني، وفي اطار سعبي الى
التعرف، على موقع الأسطورة في فكر طه
باقر، سوف أتوقف عند محطة هامة في
فهمه للأسطورة، اغدو بين اروقثها جيئة
ونهايا على أعض النص في بعض
المعلومات، التي هي بمثابة نتيجة لبحث
يكتبه عربي سوري عن عربي عراقي في
هذا الزمن الصعب زمن القطرية الضيقة
وأسوارها العالية والتي يجري التخليل
لها في كل حذب وصوب (هذه المعلومات
قد تقع في الهامش لا في المتن، ولكن
النقد الحديث كثيرا ما يجعل من الهامش
مفتاحا للدخول إلى المتن لمعرفة كيفية
انبثاقه). وتمثل هذه المحطة في لمحمة
جلجامش، الملحمة التي قدم لها وترجمها
طه باقر بمساعدة بعض زملائه ممن
كانوا يعملون في ورشة مديرية الآثار،
والتي سيعاود اليها بعد مضي وقت لا
يأس به، ليخرجها بثوب جديد. وهذا
لا يعني أن عمل طه باقر قد توقف عند
الملحمة الأثرية على نفسه، بل تعداها
الى تحقيق وترجمة معظم ملاحم الخلق
البابلية والرافدية، وأخص بالذكر
<<ملحمة الخليقة البابلية>>.

ملحمة جلجامش أوديسة العراق
الخالدة!

إنها (الأوديسة البابلية) و(أوديسة
العراق الخالدة)، بين الوصف الأول
المقارن وبين الثاني، مسافة زمنية تربو
على العقدين وثمة اصرار على أنها -
ملحمة جلجامش- أشبه بالأوديسة
الهوميرية، فمثل ما عندكم (الغرب)
عندنا (أي الشرق). هذا ما يفصح عنه
بشكل عام خطابنا النقدي والنضوي
الذي يمتد على مسافة تزيد على قرن
ونيف، وما يكتبه بنفس الوقت، الكبت
الذي يظهر مدى حضور الآخر (الغرب)
فيما ومدى اختراقه لنا، فممنذ عدة
عقود طويلة والغرب هو الذي يصيغ
عند الكثيرين.

ثالثا: إن الظاهرة الميثولوجية بكل
زخمها وفعاليتها، هي ظاهرة داخل
التاريخ وليست خارجه، وتشكل في
الميثولوجية، التي لا تخضع لقوانين
المراقبة والفحص والتدقيق والتحقيق
كحوادث التاريخ القريبة أو البعيدة).
(٢)
ثانيا: إن الصلة الجلية بين المؤرخ
والباحث في الأساطير والتي تظهر في
حياة العلامة طه باقر، تشهد في واحد
من أهم وجوهها، على استمرار تقليد
كان طه باقر قد حافظ على مسيرته
الحافلة، فقد ظل باقر اركيولوجيا
ومدققا ومحققا للنصوص الأسطورية،
ومفسرا لها والأكثر من ذلك كله مؤرخا
للحضارات القديمة.
أن يكون المرء مؤرخا وباحثا في مجال
الأساطير، ليس أمرا مستغربا وذلك



مع الملك فيصل الثاني

الشهير وصاحب (تاريخ الأمم والملوك)
والمعروف بتاريخ الطبري، فهو في أن
واحد صاحب التفسير الشهير والموسوم
المغربي عبدالله ان كلمة (تاريخ) عربية
-هي اسطوريا، وهي تشي بتلك العلاقة
الوثيقة بين المؤرخ ودارس الأساطير،
يقول العروبي في (العرب والفكر
التاريخي ١٩٧٢)، إن كلمة استعملت
فعلا للتعبير عن القصص الخيالية،
الميثولوجية، التي لا تخضع لقوانين
المراقبة والفحص والتدقيق والتحقيق
كحوادث التاريخ القريبة أو البعيدة).
(٢)
ثانيا: إن الصلة الجلية بين المؤرخ
والباحث في الأساطير والتي تظهر في
حياة العلامة طه باقر، تشهد في واحد
من أهم وجوهها، على استمرار تقليد
كان طه باقر قد حافظ على مسيرته
الحافلة، فقد ظل باقر اركيولوجيا
ومدققا ومحققا للنصوص الأسطورية،
ومفسرا لها والأكثر من ذلك كله مؤرخا
للحضارات القديمة.
أن يكون المرء مؤرخا وباحثا في مجال
الأساطير، ليس أمرا مستغربا وذلك

ولكننا نتفقد الى مصادرها.
قبل أن أُلّف إلى المحطات الهامة في
المسيرة الفكرية لطه باقر التي توجهها
بتحقيق وتفسير أهم النصوص
الأسطورية، أود أن ألفت الأنظار إلى
حقيقة هامة وتمثل في تلك الصلة التي
نوهنا إليها، الصلة العضوية الوثيقة بين
الاركيولوجيا والميثولوجيا، ففي أحيان
كثيرة، نجد تلك العلاقة القوية بين
الاركيولوجي وبين محقق النصوص
الأسطورية الكبرى، وفي أحيان كثيرة
نعثر عليهما في صورة رجل واحد
كوجهين لحقيقة واحدة، هذه هي على
الأقل مسيرة بعض الأعلام في هذا
المجال، هذه العلاقة سوف تختزل لاحقا

فيما بعد، وقد تصبح غير ضرورية
بالنسبة إلى محلل الأساطير ودارسها.
كان طه باقر قد حافظ على مسيرته
طالبا في المعهد الشرقي للغات الشرقية
في شيكاغو، في اطار بعثة دراسية على
حساب وزارة المعارف العراقية، وعند
عودة طه باقر، كان الحصري لا يزال في
بغداد مديرا عاما للآثار، لكن ثمة علاقة
مجهولة ولما تزل خطوطها غير معروفة،
جمعت بين الاثنين أو باعدت بينهما،

الرقم الطينية واللغات المختلفة. هذا من
جهة، ومن جهة أخرى، فقد ساهمت هذه
(الدائرة الأركيولوجية) في تشكيل نواة
من الباحثين في مجال الأركيولوجيا
والميثولوجيا، لنقل ورشة عمل نشطة
كان طه باقر واحدا من أهم عناصرها
النشيطين، والتي من شأنها لاحقا أن
تشكل الأساس المتين لمدرسة عراقية في
مجال الأركيولوجيا لم يوجد نظيرها
بعد في معظم الأقطار العربية، وستلعب
هذه الدائرة دورا هاما، في الحفاظ على
الثروة الأثرية من نهب وتسلط البعثات
الأثرية في العراق، ...
في الوقت الذي تسلم فيه الحصري إدارة
المديرية العامة للآثار، التي كانت تسمى
في عام ١٩٢٥ ب(الدائرة الأركيولوجية)
فان طه باقر، ومنذ عام ١٩٢٤- ١٩٣٨ كان
طالبا في المعهد الشرقي للغات الشرقية
في شيكاغو، في اطار بعثة دراسية على
حساب وزارة المعارف العراقية، وعند
عودة طه باقر، كان الحصري لا يزال في
بغداد مديرا عاما للآثار، لكن ثمة علاقة
مجهولة ولما تزل خطوطها غير معروفة،
جمعت بين الاثنين أو باعدت بينهما،

تركي علي الربيعو

على صعيد الأفاق الجديدة، تتحول
الأسطورة إلى أداة خلق وتحرر جماعي،
بينما هي في الأفاق الجديدة كاتب كبير
على صعيد الجماعة، تخدم في سياق
تحول الجماعة أنساقا سلطوية، كونها
فقدت هويتها ومشروعيتها وأصبحت
أداة في يد سلطة معينة، تنحصر
وظيفتها عندئذ في وظيفة تكرارية
واسترجاعية بان.

أعود للقول- والعود أحمد كما كانت
تقول العرب- إن للبدائيات الأولى
اغراءها، فهي تدفع بالمؤسطر إلى
ملامسة نخوم الأكوان الميثولوجية،
التي تحدثت عنها ميثولوجيات سابقة،
ليساهم عبر حترقاته الجديدة، في
أسطرة، تقدم الأجوبة عن الوجود
والأخلاق والمصير وتذكي عند الإنسان
الديني/ التقليدي، شوقا إلى أسطورة
العود الأبدية، وحيننا إلى الأصول

<<وأنن في الناس بالحج يأتيك
رجالا وعلى كل ضامر يأتيين من كل فج
عميق>>(الحج٢٥). الأصول الأولى
المقدسة، فمحاكاتها- محاكاة بوارها
التي ابتدتها الهة أو أنبياء أو أسلاف
عظام مؤمنون- يضمن وقوفه في قلب
الحقيقة، فالحقيقة ترتبط بالقدس
وتفجره في الزمان والمكان وتقع في
المتن منه. لذلك ليس غريبا أن يقول أحد
أهم تعريفات الأسطورة، إن الأسطورة
تساوي تاريخا مقدسا(١) وتفرض - أي
البدائيات والبوارد الأولى- على الباحث
في تاريخ الأسطورة أن يعود للفهري
كما يفعل المؤسطر، إلى البدائيات الأولى
للفكر الأسطوري في فكرنا العربي
المعاصر.

في بحثنا عن البدايات الأولى التي
يجري تجاهلها، ويهدف استجلاء الدور
الريادي الذي مارسه طه باقر، نجد
أنفسنا وجها لوجه أمام (المديرية العامة
لآثار العراق، ١٩٢٠) التي تشكلت، في
وجهة نظرنا، صرحا حضاريا، ساهم
بإيجابية وفعالية في اغناء المكتبة
العربية بأهم النصوص الميثولوجية
المكتشفة حديثا، والتي تمت ترجمتها عن



الثالث من اليمين جلوسا على الكرسي

تتجاوز حدود الحاجة ومجرد الكتابة، وتتجاوز بنفس الوقت كل أشكال الغثفة والتعبير لـ <<رولان بارت>> (١١)، الذي يدور من حول الملحمة شرحا وتأويلا، وما بين هذا وذاك ثمة حماس هائل يوجه مسيرة طه باقر في شغله على الملحمة، وفي تقديمه وإخراجه لها، هذا الحماس يمثل قاسما مشتركا لمعظم المشتغلين في الملاحم والأساطير، وبالأخص على ملحمة جلجامش، وأخص بالذكر حماس فراس السواح لها في ترجمته وتقديمه لها. (١٢) فالأسطورة لها سحرها وجاذبيتها، وإذا ما أخذنا بواحد من التعريفات الحديثة للأسطورة، الذي يربط الأسطورة بالحقيقة، بما هو حقيقي وقدسي. (١٣) فانه يمكن القول إن حضور الأسطورة ببعدها هذا، سرعان ما يدفع الباحث إلى حماسة قصوى (تدفعه حماسته الى الشعور بأنه وفي قلب الحقيقة وأنه يمتلك كل الحقيقة) وهذه هي ميزة الأدب الديني والأسطوري.

أعود للقول، إن حماسة طه باقر للملحمة، دفعه إلى فك أسرها، الأسر الذي تحكمه عليها الدراسات الأكاديمية وتحصره في دائرتها، وإخراجها في طبعة شعبية، فالطبعة الشعبية من شأنها أن تضمن التواصل مع أكبر قطاع ممكن من جهة، ومع التراث الشعبي بحيث يمكن للتأويلات اللاحقة له أن تتفتح على آفاق قد تجد صداها في ملحمة جلجامش، وهذا ما كان يضمه باقر ويصرح به أحيانا، وعلى سبيل المثال فأحد التأويلات اللاحقة يقول المهزومين أمام أوتو- بنشتم بطل الطوفان البابلي في

الملحمة، ذاك الذي حبته الآلهة بالخلود وضنت به على سائر البشر، وبين الخضبر عليه السلام، الذي هو شخصية أسطورية حباها الله بالخلود كما تقول الميثولوجيا الاسلامية اللاحقة، التي تعج بها النصوص الحافة الاسلامية، وأقصد بالنصوص الحافة مجموع التفاسير والشروح والتاويل التي طالت القرآن الكريم. (١٤)

من طه باقر، إلى الكثير من الباحثين العرب في مجال الأسطورة، إلى استاذ جامعي عربي، والحماس تزداد وتيرته، فلقد دفع الحماس هذا الأخير الى توجيه <<نداء إلى الأحياء>>، الأحياء الذين يمتلكون الثروات، أو الذين يسيطرون على مراكز القرار عليهم يقومون بطباعة مؤلفاته، فمن شأنها أن تحرر الأدمغة المغسولة التي غسلتها كتب التوراة ولاهوتي العهد القديم والمتصهينين في الداخل، داخل المجتمع العربي، الذين يقدرون بعشرات الملايين في الأرض العربية على حد تعبيره. (١٥)

في مستوى آخر يمكن القول انه من كارل ماركس الذي أفل نجمه مع نهاية العقد ما قبل الأخير من قرننا المنصرم، إلى طه باقر، ثمة اعجاب مشترك يصل الى حدود الدهشة بأساطير الأولين، أساطير البدايات الأولى، والدهشة تأتي من قدرة تلك الانسان البدائي والبدئي والوحشي كما تصوره التراث الاناسي (الانثربولوجي) على التعبير عن مغامراته الأولية بأساطير خلدته عبر الزمان. فبالرغم من سخريه كارل ماركس من آلهة الإغريق المهزومين أمام الحضارة المعاصرة وتقنياتها، الذي

يتبدى بتساؤه: من هو أخيل (بطل الحروب الطروادية) أمام البارود؟. ومن هو جوبيتر (إله الصواعق في الميثولوجيا الإغريقية) بالمقارنة مع مانعة الصواعق؟ إلا أن الأساطير لا تكف عن ممارسة حضورها عليه. يقول كارل ماركس: غير أن الصعوبة التي تواجهها لا تكمن في فهم وكيفية ارتباط الفن اليوناني والشعر المحمي اليوناني بأشكال معنية من التطور الاجتماعي، بل في كونها ما زال ينطويان على متعة جمالية بالنسبة لنا، ويعبران من نواح عديدة معيارا ومثالا أعلى لا سبيل إلى الوصول إليه. (١٦)

من جهة نظر طه باقر أن النتاج الأدبي في وادي الرافدين ذو مكانة خاصة في تاريخ الأدب البشرية لأنه يمثل لنا أولى محاولات الانسان للتعبير عن الحياة ومعانيها بأسلوب الخيال والفن، فالانسان القديم الذي انتقل إلى الطور الحضاري كان مدفوعا بتأمله للحياة لأن ينظر بمنظورين. الأول موضوعي ليفيد من الأشياء ويسخرها في عمرانه البشري، والثاني خيالي فقد كان ينظر إلى الأشياء نظرة خيالية أسطورية، فيعبر عن مظاهر الكون والحياة تعبيرا فنيا خلفه لنا على هيئة قطع فنية أو أسبعية نسميها كما يقول باقر نحتا أو رسما أو تصورا أو قصة أو ملحمة أو أسطورة. (١٧) ولكن اعجاب باقر بالمحاولات الأولى يظل موازيا لاعجاب ماركس السابق. يقول باقر: وبالرغم من أن هذه كانت أولى المحاولات في تاريخ تطور الإنسان فان أروع وأعجب ما سبده الفاحص لأداب وادي الرافدين

الناقد المضاعفة مرتين وانحرافية الفارئ المضاعفة ثلاث مرات، وهكذا إلى ما لا نهاية. (٢٠) شخصيا، سوف أنحي التلصص جانبا بالرغم من كونه مجديا، لأقف مع طه باقر عند أهم النقاط التي أراها جديرة بالحوار، والتي لازمت خطابنا النهضوي في موقفه من الأسطورة، مسببة له الكثير من العاهات الثقافية. أولا: ترتبط الأسطورة عند باقر بالبدايات الأولى، لنقل البداية/ البدائية، وتظهر على أنها مغامرة من مغامرات العقل في محاولاته فهم الطبيعة. هذا الربط سيظهر جليا في مشاريع فكرية عربية كما أسلفت، ذات صيت وصدى واسع تغلب عليها الايديولوجيا لصالح نزعة أوروبية تطويرية وعنصرية بأن. لنقل مع سفير أمين لصالح ماركسوية مبتدلة وتسيطوية. وفي رأيي أن طه باقر لم يبق أسير هذه الشواغل الظرفية الايديولوجية ولا الخطاطات التطورية، فقد تمكن من اجتياز النفق الايديولوجي، فهو بتأكيد على أن الأسطرة وبمقدار تفصلها مع المتخيل، تنتهي في النهاية الى الفن يكون قد أفلت من ريقة الايديولوجيا، ومهد بأن الى رؤية جمالية فنية للأسطورة. هذا السبق هو حالة نوعية وعلامة فارقة ودالة، وذلك قياسا بحالات قادمة ظلت محكومة بهاجس القياس، قياس البيضة على البانجنانة على حد تعبير حسن قببسي وبقيت محكومة بشيخ السلف المؤلج ومشوذة الى ربقته.

إن الملحمة الأسطورية تعالج ظاهرة الخلود وكيف الوصول إليها، وهي معالجة تقع في المثن منها، ولها بعدها الوجودي الذي لا يتزامن فقط والحياة البدائية، فيعد آلاف من السنين الفاصلة، نقرأها وكأنها كتبت لنا خاتمة الأمس، نمشي مع بطلها في تجواله، فكأنه واحد منا، كأن واحدنا يمشي وظله، وجزءا من نفسه. (٢١) يقول جلجامش ولسان حاله كل واحد منا.

لقد أفرغني الموت حتى همت على وجهي في البراري إن النازلة التي حلت بصديقي وصاحبي تقض مضجعي أه لقد صار صاحبي الذي أحببت ترابا وأنا سأضطجع مثله فلا أقوم أبدا الأبدين فيا صاحبة الحانة، أكون في وسعي ان لا أرى الموت الذي أخشاه وارهبه. (٢٢) إن الفن كما يرى هربرت ماركيوز في كتيبه الموسوم- <<البعد الجمالي>> ويحاوره، ويحاول أن ينقل للقارئ- قارئ نص المناوشة والمحاوره والذي هو نص نقدي- منعة النقد، خاصة، وأن نص المحاوره هذا هو نسج من اقتباسات تتحدر من منابع ثقافية متعددة، رولان حضارة وادي الرافدين، وأن منشأه كان من الغناء والقصيد الشعبي، ويفض باقر هنا في شرح الخصائص بين الشعر والأسطورة.

ثانيا: إن الشعر كان أقدم نتاج أدبي في حضارة وادي الرافدين نوح مكانة خاصة في يعان من تحوير ونسخ وتبديل وكما هي الحال مع الأداب الأخرى، يقول باقر: فقد وصل إلينا على هيئته الأصلية غير محور، أي كما كتب ودون بأنامل الكتبة السومريين والبابليين في الألف الرابع قبل الميلاد. ثانيا: لعل أهم ميزة في هذا الأدب، هي كثرة التكرار والإعادة مما قد يبعث السأم والملل في بعض المواقف وهذا ما ستعالجه بالمناقشة بعد قليل.

رابعا: من ميزات هذا الأدب استباق الحوادث والأحداث، وتقديم الحل والتخلي، والتغني بالمجد البطل، هكذا هي انحرافية هناك هامة وتعلق بتدوين

تجح به النصوص الأسطورية، وهذا ما حدا به أحيانا إلى حذف هذا التكرار بالرغم من أنه وكما يقول باقر، قد يحمل تغييرا أو زيادة، وهذا ما دفعه الى اعاده اندراج التغيير والزيادة وحذف التكرار، وعلى سبيل المثال فقد حذف الحوار بين أوتو- بنشتم الذي حبته الآلهة بالخلود وبين جلجامش الذي جاء يسأله عن سر الخلود، وهو المقطع الذي يظهر كلازمة في نص الملحمة والذي يتكرر مرارا، على طريقة سورة الرحمن في القرآن الكريم التي تتكرر فيها اللازمة (فبأي إلاء ربكما تكذبان) كما في غيرها من السور.

من وجهة نظر بارت أن للتكرار وظيفة سلطوية، يقول: إن اللغة السلطوية- تلك التي تنشأ وتنتشر تحت حماية السلطة- هي قانونيا، لغة تكرر (٢٤) ولكن الإناسي الفرنسي كلود ليفي ستروس في بحثه عن بنية الأساطير يرى أن للتكرار وظيفة جوهرية تتمثل في اظهاره لبنية الأسطورة(٢٥) فالتكرار يمس بنية الأسطورة ويوأيها، إنه ينشأ مع شيء مثل الأسطرة. وهذا ما حدا ب-بارت أن يتراجع، فهو يجد نفسه ملزما تحت الضغط القادم من حقل الدراسات الأسطورية الحديثة الذي يؤكد أن للتكرار وظيفة طقوسية هامة يقول بارت: فالتكرار ذاته قد يولد المتعة، والأمثلة الاثنوغرافية وفيرة: ايقاعات مسيطرة، موسيقى تعزيمية، ابتهاجية، صلوات، طقوس- التكرار المغرط هو الدخول في الضياع، الدخول إلى صفر المدلول، بذلك أي بهذا التكرار- نرى أن النص الأسطوري يضمن كونه نص متعة، فنص المتعة كما يعرفه بارت هو الذي يضعنا في حالة من الضياع، ويرهق (ربما إلى نوع من الملل- وهو الملل الذي انتاب البهجة والحيوة الترابية التاريخية والثقافية والبيسكولوجية لدى القارئ، والذي يزعزع الثابت من انواقه وقيمه وتكرياته، مؤزما علاقته بالغة. (٢٦) ولكي لا نبتعد كثيرا في تجريديات بارت وتحديداته لننص المتعة ونص اللذة.

نقول أن وقع النص المقدس/ الملحمي على قارئه وسامعه، كنص غير مأوف، يكاد يصل الى درجة الأسر. ولعل في حادثة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما سمع خباب بن الأرت وهو يتلو القرآن على صهره سعيد بن زيد وأخته فاطمة بنت الخطاب، بلغ التحول عنده مسراه عندما قرأ بعد أن ظهر طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، إننا نتكره لئلا يخشى، تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى فذهب وأعلن اسلامه. والأمثلة كثيرة فالحضور الكبير للنص الأسطوري المغاير والمختلف هو الذي دفع الملاً من قريش لأن ينظروا إلى القرآن على أنه <<قرآن عجب>> كما تقول الألية ل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرأنا عجا . الجن: ١: فالتكرار الذي يضمن هذا الحضور ليدفع بالنص الأسطوري إلى آفاق قصوى وجديدة.

ثالثا: لا أدري ما الذي دفع <<طه باقر>> إلى القول بأن الأدب السومري- البابلي الذي تمثل الأسطورة منته ووسيلته بأن، لم يعان من تحوير ونسخ وتبديل كما هي حال الأداب الأخرى. فقد وصل إلينا - والقول لباقر- على

هيئته الأصلية غير محور، لكنه سرعان ما يقودنا إلى أفق آخر يجب ما قبله، فبالرغم من أن هناك ما يشبه الملحمة في الأدب السومري أو كانه نسخة طبق الأصل إلا أن الملحمة تعد نتاجا أدبيا بابليا صرفا. (٢٧) في رأيي أن خطاب باقر، أو لنقل حماسه الزائد دفعه إلى ان يفكر هو الآخر بطريقة ميثولوجية وكان حال خطابه يقول إنه لا يمكن للتحوير ان يطال هذه النصوص الأسطورية الهامة، وهذه هي إحدى أوجه التفكير الأسطوري، وهو أمر ليس بالمستغرب، فما هو ستروس يؤكد في <<الفكر البري>> على موازاة الفكر الأسطوري لفكر العلمي. (٢٨) هذا بالإضافة إلى أمر نراه مهما ويتمثل في أن عدوى الأسطورة من الممكن لها أن تغزو عقل المشتغلين عليها، وأولئك الذين يرددون تلاوتها ويرونها كتابا عجبا؟

في <<النص القرآني وآفاق الكتابة>> يقول أونيسن: إن كل كتابة هي اعادة كتابة، لكن في سياق آخر. (٢٩) وقد سبق لنا القول إنه يمكن القول إن كل اسطرة هي اعادة أسطرة لكن في سياق آخر. فالنص الأسطوري تقوم بنيته على الحركة، والتي سرعان ما تنشأ عنها أكون أسطورية/ ميثولوجية جديدة. يقول سستروس في <<الإناسة البنيائية>>: معلوم أن الأساطير تتحول، وأن هذه التحولات التي تحصل بين رواية للأسطورة الواحدة وأخرى، أو من أسطورة إلى أسطورة أخرى، أو من مجتمع إلى آخر بالنسبة للأساطير نفسها أو بالنسبة لأساطير مختلفة، تؤثر على هيكلية الأسطورة حينا أو على <<كودها>> حينا آخر، أو على المرسل المقصود منها حينا ثالثا. لكن هذه التأثيرات لا تحول دون بقاء الأسطورة أسطورة، فهي تراعي بذلك ما يمكن تسميته مبدأ الاحتفاظ بالمادة الأسطورية، وهو مبدأ يعمل على أن

يكون من الممكن دائما أن تنشأ عن كل أسطورة أسطورة أخرى>>. (٣٠) نسوق كل هذا، في سبيل القول إن بنية الفكر الأسطوري تقوم على التحوير والتبديل، وأن هدفنا ليس تبيان رأيي في القديم كما يرى باقر ويؤكد، لنهج جديد في النظر إلى الأساطير ودراستها، النهج الذي سيعيب في الكثير من الدراسات التي طالت الأسطورة، والتي أخضعتها لعاهات ثقافية ومزاجيات وايديولوجيات قادتها إلى طريق منحرف. إن القول بأن الأساطير البابلية لم يطلها التحوير والنسخ، ومزاجيات وايديولوجيات قادتها إلى طريق منحرف. إن القول بأن الأساطير البابلية لم يطلها التحوير والنسخ، يوازئ القول الذي يتقوله متعبد زاهد في صومعته ما مل من الصراخ بأن كتابه المقدس لا يطاله التحريف لا من قريب ولا من بعيد، وهذه خاصية تجمع بين جميع كهنة الكتب المقدسة، وتقود معظم المشتغلين عليها الذين ما ملوا من الافتتان بسحرها وموسيقاها وطريقتها في فن السرد، بحيث يمكن وصفها بحق بأنها نصوص اللذة والمتعة، ونضيف بقولنا إنها <<نصوص الفتنة>> التي لما تزل تمارس حضورها العجيب في الزمان والمكان؟

رابعا: يلفت طه باقر نظرنا في تقديمه للملحة جلجامش، إلى أمور في غاية الأهمية دون أن يقف عندها مطولا، منها ان الشعر كان أقدم نتاج أدبي في حضارة وادي الرافدين، وهذا يعني من وجهة نظرنا أن هناك خطأ تواصليا وتصاعديا يربط بين النصوص الأسطورية التي ينظر إليها على أنها في النهاية هي نصوص لغوية وهذا ما لا يقره تحليل الأساطير؟- وتمتد- أي هذه النصوص، من ملحمة جلجامش الى القرآن الكريم كنص ذي بنية منيئة، نص هو في غاية الروعة والجمال والتوهج، غاية تجعل منه رؤيا للكون والحياة والجواب عن أسئلة الوجود والأخلاق والوصير، وهذا ما يجعل من سورة لألاء وتوهج



يفحص احد التماثيل في متحف برلين



والتعبير لأونيسس. (٣١) هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان هذا الترابط الوثيق ما بين الأسطورة والشعر في القديم كما يرى باقر ويؤكد، من شأنه أن يعيد طرح التساؤل على الشعراء المعاصرين الذين يقيمون تقابلا وتضادا بين الشعر والأسطورة، يدفع وفي أحيان كثيرة إلى تكلف وعناء شعبيين في توظيف الأسطورة داخل النص الشعري، توظيف يتجاوز الجانب الفني والجمالي، ليصب لصالح توظيفات ايديولوجية (التغني بعشائر وعشيقها الإله تموز بمناسبة أو غير مناسبة) أو لصالح رغبة أو حاجة للكتابة سرعان ما تجعل من القصيدة نصا يجتزئ التكلف ويبالغ في توظيفه للأسطورة، وهذا باستثناء حالات نجحت في هذا

المجال ولا مجال لذكرها الآن. (٣٢) من الأمور الهامة أيضا، أن طه باقر يقوم بعملية فك ارتباط، بين الأسطورة والتاريخ في قراءته للملحة جلجامش، فجلجامش التاريخي غير جلجامش الأسطوري، الأول شخصية تاريخية مذكورة في إثبات الملوك الذي تنسبه على السلالة الأولى في السوركاء وتخصص له حكما دام (١٢٦) عاما، وفي رأيي أن فك الارتباط هذا سيأتي ثماره لاحقا في دراسات لاحقة طالت شخصيات كبيرة في التاريخ، وقامت بفصل كبير بين الصورة الميثولوجية للبلط وبين صورته التاريخية، وعلى سبيل المثال شخصية سليمان بن داوود وهي الشخصية التي ترسم لها تجعله يكلم جميع الحيوانات. من مستشاره الهدهد (كان يسمى يعقورا) إلى النملة (جرسا) التي نزلت حولها السورة القرآنية المسماة ب- <<سورة النمل>>. (٣٣) وقد أخذ هذا الفصل شكلا تعسفيا في بعض الدراسات التي ستقف عندها لاحقا، وذلك عندما قامت بتقزيم الحدث الأسطوري وتقطيعه وتفصيله ليناسب ما اصطلاح عليه ب<<سير العقل التعليلي>> الذي يساوي ويوازي <<سير بروتوكست>> في الميثولوجيا الاغريقية. وفي وجهة نظرنا أن هذا التقزيم يتجاهل السؤال الهام والذي تدور من حوله الكيفية التي يتحول فيها الحدث التاريخي إلى حدث أسطوري. هذا التساؤل وإن ظل غائبا في الكثير من الدراسات التي طالت الأسطورة إلا أنه سوف يستعيد أهميته مع بداية عقد الثمانينيات عند بعض الباحثين في مجال الميثولوجيا، وذلك بهدف تجاوز النزعة الانطباعية التي يدفع بها تجاوز النزعة الانطباعية التي يدفع بها وباستمرار العقل التعليلي الى الواجهة، وذلك في اطار سعيه الى تجاوز اللامعقول الأسطوري إلى عالم العقلانية الربح وكما يظن أصحاب هذا الخطاب.

نشر هذا البحث في مجلة نزوى العدد ٣٩، تموز ٢٠٠٤

دعني اذن اتقدم قبلك ولينادييني
صوتك تقدم ولا تخف
واذا ما هلكت فساخدا لي
أسماءً وسيقولون عني بعد
ان تولد الاجيال لقد
هلك جلامش

ملحمة جلامش

ترجمة طه باقر

